كلية الحقوق
إدارة الدراسات العليا
قسم الشريعة الاسلامية

البيئة ومدى حمايتها في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

(دراسة مقارنة)

الباحث

أيمن كمال محمد محمد الهواري

إشراف

الأستاذ الدكتور/ محمود محمد حسن.

رئيس قسم الشريعة الإسلامية والعميد الأسبق لكلية الحقوق – جامعة المنصورة.

المقدمة

فلقد منّ الله على عباده بالعديد من النعم، والكثير من أوجه الكرم، فقال عز وجل: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾[2]، وإن مما أنعم الله به على الإنسانِ أن سخر له ما في البر والبحر، وهذه النعمة هى لتكريم الإنسان، حتى يعيش عابدًا لله فى هذه الحياة الدنيا، وهى نعمة بلا شك لا تقدر بمال ولا يعدلها شيء، وهي نعم متجددة ودائمة بدوام الإنسان على الأرض، ومن أجل ذلك فقد جاء الإسلام مرشدًا وحاثًا على الحفاظ على البيئة التي سخرها الله للإنسان، وبين ووضح الطرق المشروعة والمباحة للاستفادة من هذه البيئة؛ وذلك لأن البيئة بها قوام الحياة واستمرارها، وعمارة الدنيا ودوامها،.

التعريف بموضوع الدراسة:

يقوم مفهوم التعويض على مبدأ إزالة الضرر البيئي الذي لحق بالآخرين، فإذا تحقق الضرر البيئي ثبت حق المضرور في التعويض عنه، والهدف من التعويض في مجال الأضرار البيئية ليس جبر الضرر من طريق التعويض فحسب، وإنما هو الحد من الانتهاكات البيئية المتعددة، فالضرر البيئي قد يصيب الأشخاص أو ممتلكاتهم، كما أنه قد يصيب البيئة ذاتها، ومهما يكن الأمر فإن التعويض هو الأثر الذي يترتب على تحقيق المسئولية، والتعويض طبقًا للقواعد العامة للمسئولية المدنية، هو نوعين فقد يكون عينًا أو نقدًا، إلا أنه أعطى للقاضي السلطة التقديرية في تحديد طريقة التعويض تبعًا لطبيعة الضرر وأحوال المضرور.

أسباب اختيار الموضوع:

ترجع أسباب اختياري للموضوع إلى عدة أسباب، أجملها فيما يلي:

---

(١) سورة إبراهيم: الآية رقم (٣٤).

(٢) سورة النحل: الآية رقم (١٨).

(١) يعد موضوع التعويض عن الأضرار البيئية، من الموضوعات التي تجمع بين القديم والحديث، وهو ما يتيح لنا النظر في أقوال الفقهاء القدامى، والمزج بينها وبين آراء العلماء المعاصرين، لإظهار الراجح منها.

(٢) ما يحل بالبيئة من انهيار بسبب التعاملات السيئة معها من قبل الإنسان، مما أدى إلى تلوثها وانقراض العوامل الجمالية بها، وهو ما دعاني إلى دق ناقوس الخطر تحذيرًا من الاعتداء الصارج على البيئة.

(٣) رغبتي في بيان أن أحكام الشريعة الإسلامية جاءت شاملة وجامعة؛ حيث إنها لم تترك شيئًا إلا وبينت حكمه، وما من جديد في حياة البشر إلا وكانت الشريعة الإسلامية سباقة في بيان حكمه، بما تتميز به من القواعد العامة، والنصوص الشاملة المحكمة.

(٤) ندرة المراجع المتخصصة في هذا الشأن؛ حيث إنني لم أعثر فيما اطلعت عليه على دراسة علمية مقارنة لموضوع الدراسة، إلا النذر اليسير من ذلك.

(٥) تفاوت وتباين أراء الفقهاء والقانون، فيما يكون محلًا للتعويض وما لا يعتبر كذلك، وهو ما دعاني للقول الفصل في المسألة، نظرًا لانتشار صور الاعتداء على البيئة وما ينجم عنه من أضرار، مع جهل الكثير بأحكامها الشرعية.

أهمية الموضوع:

تبدو أهمية موضوع الدراسة، والبحث فيه، فيما يلي:

(١) بيان صلاحية الشريعة الإسلامية، لكل مكان وزمان، وقدرتها على تقديم الحلول الشرعية التي تلائم حاجات الأفراد ومتطلباتهم الحياتية، ومن ثم وجب التصدي لكافة ما يطرح من مشكلات بيئية، وتقديم الحلول الشرعية الصحيحة لها.

(٢) أن هذا الموضوع وثيق الصلة بكرامة الإنسان، فإن الله تعالى كرمه وسخر له ما في الكون لينتفع به، فكان يجب عليه أن يحفظ نعمة الله عليه التي تعد من مظاهر تكريمه وتفضيله على سائر الخلق، فكان من الأهمية بمكان بيان الارتباط بين تكريم الإنسان والحفاظ على البيئة.

(٣) بيان قصور التشريعات الوضعية في التصدي للاعتداءات على البيئة، ومما يدل على ذلك تخبط هذه التشريعات وعدم اتفاقها، وكذلك عجز تلك التشريعات عن التكييف الصحيح للتعويض عن الأضرار الناجمة عن الاعتداء على البيئة.

منهج الدراسة:

يتوجب علينا أثناء البحث العلمي، بيان الكيفية التي نتبعها في طرح ومعالجة القضايا التي تثيرها الدراسة، وذلك لتحقيق هدف الدراسة، وعلى ذلك فقد سلكنا في سبيل إخراج هذا البحث بهذه الصورة، بما يتناسب مع طبيعة الدراسة؛ إذ هي دراسة شرعية فقهية تأَصيلية مقارنة، وعلى ذلك فقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المناهج، منها **المنهج التأصيلي:** واستخدمت هذا المنهج حال تعاملي مع النصوص الشرعية، وتوظيف عبارات الفقهاء والأصوليين، فيما يتعلق بموضوع الدراسة، و**المنهج التحليلي:** ويعتبر المنهج التحليلي من أهم المناهج التي ساعدتني في بيان وإيضاح بعض الممارسات العملية للاعتداء على البيئة، و**المنهج الوصفي:** واستعملت هذا المنهج حال بياني لماهية البيئة وحمايتها في المذاهب الفقهية المختلفة، وحقيقة المعاملات التي تمثل اعتداءً عليها، و**المنهج المقارن:** واتبعت هذا المنهج عند المقارنة بين أحكام المذاهب الفقهية من جهة، و**المنهج التطبيقي:** وكان وجه استفادتي من هذا المنهج عند إسقاط القواعد والأحكام الفقهية التي قررها فقهاء الشريعة الإسلامية على صور الاعتداء على البيئة، والتي تعد في حقيقتها اعتداء على الإنسان.

خطة البحث

وفي ضوء ما سبق بيانه، قسمنا هذا البحث إلى مقدمة في التعريف بموضوع الدراسة، وفصل تمهيدي وبابين، وخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات، فجاءت خطة الدراسة على النحو التالي:

المبحث الأول: ماهية البيئة في الفقه الإسلامي.

المبحث الثاني: ماهية البيئة في القانون الوضعي.

المبحث الثالث: مقارنة بين مفهوم البيئة في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي.

البيئة ومدى حمايتها في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

تمهيد وتقسيم:

يعد موضوع البيئة من الموضوعات ذات الأهمية، والتي صارت في الآونة الأخيرة مثار اهتمام الكثير على المستويين الدولي والمحلي، وكثرت وتعددت من أجل ذلك المؤتمرات والندوات التي تهتم بدراسة البيئة والحفاظ عليها، والتعويض عن الأضرار الناتجة عن تلوثها، وقد تناولت هذه المؤتمرات والاتفاقيات، بالبحث والدراسة، البيئات الاجتماعية، والثقافية، حتى قيل أنها تناولت كافة جوانب الحياة، بيد أن الشريعة الإسلامية قد حازت قصب السبق، في التصدي لمشكلات البيئة ومعالجتها، وعلى ذلك نتناول هذا الفصل في ثلاثة مباحث، أحدهما: عن ماهية البيئة في الفقه الإسلامي، والثاني: ماهية البيئة في القانون الوضعي، والثالث: مقارنة بين مفهوم البيئة في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: ماهية البيئة في الفقه الإسلامي.

المبحث الثاني: ماهية البيئة في القانون الوضعي.

المبحث الثالث: مقارنة بين مفهوم البيئة في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي.

المبحث الأول

ماهية البيئة في الفقه الإسلامي

مما لا شك فيه، أن الوقوف على المفهوم الصحيح للبيئة، يستوجب علينا التعرض لأصل كلمة البيئة من حيث اللغة (مطلب أول)، ثم نتناول مفهوم البيئة في الفقه الإسلامي (مطلب ثاني)، ثم نلقي الضوء على اهتمام الإسلام بالبيئة (مطلب ثالث)، وذلك على النحو التالي

المطلب الأول

البيئة في اللغة

الأصل اللغوي لكلمة البيئة في اللغة العربية، يرجع إلى الجذر" بوأ"، والذي اشتق منه الفعل الماضي "باء"، كما يقال: بوأ، أي حل ونزل، وأقام، والاسم من هذا الفعل هو البيئة،يقال: استيباءه أي اتخذه

مباءة، بمعنى نزل وحل به[١]. وقد يعبر بكلمة البيئة عن الحالة، حالة النبوءة وهيئته وهي الاسم من البوء، فيقال باءت بيئة سوء، أي بحال سوء، ويقال باء بالفشل[٢] ، ويطلق على البيئة أيضًا المحيط الذي نعيش فيه فيقال: "الإنسان ابن بيئته"، والبيئة الاجتماعية، بمعنى الحالة، ومنه يقال: "وإنه لحسن البيئة"[٣]، وفي القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾[٤]، أي الذين أقاموا أو توطنوا بالمدينة المنورة قبل هجرة الرسول ﷺ إليها. وفي الحديث النبوي الشريف أن رسول ﷺ قال: "من كذب علي – حسبت أنه قال متعمدًا – فليتبوأ مقعده من النار"[٥]، فقوله: "فليتبوأ مقعده"، معناه: لينزل منزلته من النار. والباءة: بمعنى النكاح، وسمي كذلك لأن الرجل يتبوأ من أهله، أي يستمكن من أهله كما يتبوأ من داره، وفي حديث النبيﷺ: "يا معشر الشباب عليكم بالباءة، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع منكم الباءة، فعليه بالصوم، فإن الصوم وجاء"[٦]، أراد بالباءة: النكاح والتزويج. والمباءة: معطن القوم للإبل، حيث تناخ، ومباءة الغنم: منزلها الذي تأوي إليه، والمباءة من الرحم، المكان الذي يكون فيه الجنين.

ومن هذا العرض اللغوي يتضح لنا أن البيئة هي: النزول والحلول من المكان، ويمكن أن نطلق مجازًا على المكان الذي يتخذه الإنسان مستقرًا لنزوله وحلوله.

قال الأصفهاني[٧]: "أصل البواء: مساواة الأجزاء في المكان، خلاف النبو الذي هو منافاة الأجزاء. يقال: مكان بواء: إذا لم يكن نابيًا بنازله، وبوأت له مكانًا: سويته فتبوأ، وباء فلان بدم فلان يبوء به أي: ساواه،

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى، دار صادر، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ (٣٨٢/١).

(٢) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص١٢١٦.

(٣) معجم متن اللغة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، ١٩٨٦م، (٢٦٢/١)؛ قضايا البيئة من منظور إسلامي، أحمد عبد الرحيم السايح، أحمد عبده عوض، مركز الكتاب، القاهرة – مصر، ٢٠٠٤م، ص١٦.

(٤) سورة الحشر، الآية رقم (٩).

(٥) رواه الترمذي في سننه، باب تعظيم الكذب على رسول الله ﷺ، حديث رقم (٢٧٩٨)، سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٦) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في فضل التزويج والحث عليه ، حديث رقم (١٠٨٧).

(٧) الراغب (؟–٥٠٢هـ) هو: الأصفهاني، أديب لغوي حكيم مفسر، من أهل أصفهان، سكن بغداد واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من تصانيفه: (الذريعة إلى مكارم الشريعة)؛ (حل متشبهات القرآن)؛ (المفردات في غريب القرآن).[الأعلام للزركلى ٢٧٩/٢، ومعجم المؤلفين ٥٩/٤].

قال تعالى:﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا﴾ [١]، ﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ﴾ [٢]، ﴿تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِ﴾ [٣]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۖ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [٤]، وروي أنه: "كان عليه السلام يتبوأ لبوله كما يتبوأ لمنزله"[٥]، وبوأت الرمح: هيأت له مكانًا، ثم قصدت الطعن به، وقال عليه السلام: "من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار"[٦] ، وقال الراعي في صفة إبل:

لها أمرها حتى إذا ما تبوأت ... بأخفافها مأوى تبوأ مضجعًا[٧].

أي: يتركها الراعي حتى إذا وجدت مكانًا موافقًا للرعي، طلب الراعي لنفسه متبوأ لمضجعه. ويقال: تبوأ فلان كناية عن التزوج، كما يعبر عنه بالبناء فيقال: بنى بأهله. ويستعمل البواء في مراعاة التكافؤ في المصاهرة والقصاص، فيقال: فلان بواء لفلان إذا ساواه، وقوله عز وجل: ﴿بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [٨]، أي: حل مبوأ ومعه غضب الله، أي: عقوبته، وقوله: ﴿بِغَضَبٖ﴾ في موضع حال، كخرج بسيفه، أي: رجع، لا مفعول نحو: مر بزيد. واستعمال (باء) تنبيهًا على أن مكانه الموافق يلزمه فيه غضب الله، فكيف غيره من الأمكنة؟ وذلك على حد ما ذكر في قوله: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١﴾ [٩]، وقوله: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾[١٠]، أي: تقيم

---

(١) سورة يونس، الآية رقم (٨٧).

(٢) سورة يونس، الآية رقم (٩٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية رقم (١٢١).

(٤) سورة يوسف، الآية رقم (٥٦).

(٥) هذا الحديث: عن أبي هريرة ﷺ قال: "كان رسول الله ﷺ يتبوأ لبوله كما يتبوأ لمنزله" أخرجه الطبراني في الأوسط، من رواية يحيي بن عبيد بن دجي عن أبيه، وقال الهيثمي: ولم أر من ذكرهما، وبقية رجاله موثقون. [انظر: مجمع الزوائد ٢٠٩/١].

(٦) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من كذب على النبي ﷺ ، حديث رقم (١٠٧)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج١ ص٢٤٢.

(٧) هذا البيت لعبيد بن حصين النميري، المعروف بالراعي النميري، وهو من بحر الطويل، وجاء في ديوانه ص١٣٢، والخصائص ج٢ ص٤٦٨؛ وفي اللسان مادة: شرق ج١٠ ص١٧٣؛ والنهاية في غريب الحديث، ج٢ ص١١٤٣.[انظر: التحقيق على كتاب مفردات ألفاظ القرآن، مصطفى العدوي، ص١٠٦ هامش رقم ٣].

(٨) سورة الأنفال، الآية رقم (١٦).

(٩) سورة آل عمران، الآية رقم (٢١).

(١٠) سورة المائدة، الآية رقم (٢٩).

بهذه الحالة. قال: أنكرت باطلها وبؤت بحقها[١]، وقول من قال: أقررت بحقها فليس تفسيره بحسب مقتضى اللفظ، والباءة كناية عن الجماع. وحكي عن خلف الأحمر أنه قال في قولهم: حياك الله وبياك: إن أصله: بواك منزلًا، فغير لازدواج الكلمة، كما غير جمع الغداة في قولهم: آتيه الغدايا والعشايا[٢]"[٣].

ومن هذا العرض اللغوي يتضح لنا أن البيئة هي: النزول والحلول من المكان، ويمكن أن نطلق مجازًا على المكان الذي يتخذه الإنسان مستقرًا لنزوله وحلوله، أي على: المنزل، والموطن، والمكان الذي يتخذه الإنسان مستقرًا لنزوله وحلوله، أي يرجع إليه فيتخذ فيه منزله وعيشه، أي ذلك الجزء الفيزيقي لبناء المجتمع المدني الذي يجد فيه الكائن الحي مكانًا ملائمًا للعيش والإقامة فيه[٤]،

المطلب الثاني

مفهوم البيئة في الفقه الإسلامي

البيئة كلمة حديثة العهد، ولم يتم استعمالها إلا من خلال العلم الذي يرتبط بها، ووصفت كذلك بالبيئة السياسية، والبيئة الاجتماعية والبيئة الوراثية، والذي يهمنا في هذا المقام البيئة على إطلاقها، والمتأمل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، يدرك من غير كبير عناء، اشتمالهما على ألفاظ وعبارات ترشد إلى البيئة بالمعنى اللغوي السابق بيانه، اي المنزل والمكان المهيأ لحياة الكائنات التي بثها الله تعالى في الكون أو على الأرض، أو حتى في الجنة أو في النار عندما تقوم الساعة.

وقد وردت البيئة في القرآن الكريم بمعنى الأرض، حيث هيأها الله تعالى لمخلوقاته، فزودها بالماء والهواء والتربة، وهي كمخلوق لا يتصور أن يكلف الله تعالى خلافتها للإنسان مجردة من تلك العناصر وغيرها، فهي مجموع من الموارد والعناصر الحية وغير الحية التي تشكل وسطًا حيويًا ملائمًا لعيش الكائنات

---

(١) هذا الشطر للبيد بن ربيع العامري، وعجزه: عندي ولم يفخر علي كرامها، وهو في ديوانه ص ١٧٨؛ شرح المعلقات ١٧٠/١؛ وفي اللسان مادة (بوأ) ج١ ص٣٦.

(٢) قال ابن منظور: وقالوا: إني لآتيه بالغدايا والعشايا، والغداة لا تجمع على الغدايا، ولكنهم كسروه على ذلك ليطابقوا بين لفظه ولفظ العشايا، فإذا أفردوه لم يكسروه. وقال ابن السكيت: أرادوا جمع الغداة فأتبعوها العشايا للازدواج. [انظر: اللسان (غدا) ١١٧/١٥].

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: مصطفى بن العدوي، مكتبة فياض، مصر – المنصورة، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ص١٠٥ وما بعدها.

(٤) الإنسان والبيئة، السيد عبد العاطي السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية – مصر، ١٩٩٩م، ص٥٥.

والأحياء، وحينما تكلم الله تعالى عن تسخير الأرض وتذليلها للإنسان، فإنما كان هو الأرض بحسبانها وسطًا حيويًا متكاملًا[١].

الإنسان والبيئة في الإسلام:

الإنسان هو خليفة الله تعالى في الأرض، وخلافة الله تقتضي نوعًا من التكريم الإلهي للإنسان، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[٢]، وتكريم الله تعالى للإنسان، هو تكريم لذاته الإنسانية، ولدوره في عمارة الأرض، وقد ظهرت مقومات التفضيل والتكريم من خلال العلم والمعرفة، وما أودعه الله في الإنسان من عقل يفكر، وقلب يعي، ولما كان الإنسان هو خليفة الله في أرضه، فقد سخر الله تعالى له ما في السماوات وما في الأرض، تكريمًا له وتشريفًا، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[٣]..

كما تتميز نظرة الإسلام في أن تعامله مع البيئة ينطلق من كونها ملكية عامة، يجب المحافظة عليها حتى يستمر الوجود، وتدوم الحياة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [٤]، فنظرة الإسلام إلى البيئة من خلال هذه الآية، كان من زاوية بُعدها المكاني[٥]، كما أن نظرة الإسلام إلى البيئة، يشمل البعد الزماني لها[٦]، وهذا من النظر في

---

(١) قانون حماية البيئة الإسلامي مقارنًا بالقوانين الوضعية، د. أحمد عبد الكريم سلامة، ط١، القاهرة – مصر، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٢٣ وما بعدها.

(٢) سورة البقرة، الآية (٣٠).

(٣) سورة إبراهيم، الآيات (٣١ – ٣٤).

(٤) سورة الأعراف، الآية رقم (٨٥).

(٥) شرح تشريعات البيئة، د. عبد الفتاح مراد، دار الكتب والوثائق المصرية، الإسكندرية – مصر، ص٣٠.

(٦) المرجع السابق، ص٣٣.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾[1]

كما تتمثل نظرة الإسلام إلى البيئة، من منطلق أنها مسخرة للإنسان، فكان من الواجب عليه حسن التعامل معها، والتأمل في مخلوقات الله، وجعل ذلك دليلًا على الإيمان[2]، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [3]

كما ينظر الإسلام إلى البيئة من منظور أنها خلقت بمقادير محددة وصفات معينة؛ بحيث تكفل لها هذه المقادير وتلك الصفات، القدرة على توفير سبل الحياة الملائمة للإنسان، وغيره من سائر الكائنات الحية الأخرى، شريطة حسن استغلالها والاستمتاع بها[4]، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [5]، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾[6]، كما ينظرالإسلام إلى البيئة، على أنها نظام متوازن يجري في شكل دورة حيوية رسمها الخالق سبحانه، بدقة متناهية، وهي تكفل استمرار الحياة وفق سلسلة من عمليات التولد والموت والتحول، أو سلسلة من العمليات المتداخلة والمترابطة تسيطر عليها وتوجهها علاقات سببية محددة، وفيه تكون الأجزاء الحية وغير الحية بمثابة عوامل متفاعلة توجب حالة التوازن.

أهمية البيئة للإنسان:

ترجع أهمية البيئة للإنسان بصفة عامة إلى كونها أصل نشأته، وبداية مادته، فمنها خلق، وعليها وفيها يحيا ويمارس دوره المنوط به، وفي باطنها يقبر ويوارى جثمانه بعد أن يقضي أجله المقدر له، والإنسان في جانبه المادي لا يعدو أن يكون حفنة من تراب ممزوجة بقليل من مائها، فقد أحصى العلماء العناصر التي يتألف منها جسم الإنسان، وهي: الكربون، الحديد، والفسفور، والكالسيوم، والماغنسيوم والكبريت، وغيرها، وكلها معادن أرضية، كما أشاروا إلى أن جسم الإنسان العادي به من الكربون ما يكفي لعمل تسعة آلاف قلم رصاص، وبه من الفسفور ما يكفي لصنع ألفي رأس عود كبريت، وصدق الله تعالى إذ

---

(١) سورة العنكبوت، الآية رقم (٢٠).

(٢) قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة، د. ماجد راغب الحلو، منشأة المعارف، الإسكندرية – مصر، ٢٠٠٢م، ص٣٧.

(٣) سورة يونس، الآية رقم (١٠١).

(٤) قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة، د. ماجد راغب الحلو، مرجع سابق، ص١٠؛ التلوث وحماية البيئة – قضايا البيئة من منظور إسلامي محمد منير حجاب، ط١، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ١٩٩٩م، ص١٦.

(٥) سورة القمر، الآية رقم (٤٩).

(٦) سورة الطلاق، الآية رقم (٣).

يقول: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾[١]، وقد أودع الله تعالى في البيئة من الأقدار والأسرار ما يفي بسد حاجات البشر، كما قد جعل هذه المقومات محكومة بقوانين صارمة، كل ذلك لخير الإنسان ونفعه، وإذا كانت حياة الإنسان محكومة بكثير من العوامل المادية والأخلاقية، فإن حياة الإنسان إلى حد ما محكومة بعوامل البيئة ومتأثرة بقوانينها، لا على سبيل الإجبار، ولكن في إطار من الحرية والاختيار[٢].

المطلب الثالث

اهتمام الإسلام بالبيئة

تمهيد:

اتصفت الشريعة الإسلامية منذ نشأتها بالشمولية والكمال، فهي شريعة صالحة لكل زمان ومكان، وهي شريعة عالمية، ليست موقوتة بزمن دون زمن، أو بجيل دون جيل، كما أنها شريعة المكان كله، وليست قاصرة على إقليم دون آخر أو على مخاطبة أمة بعينها، بل تخاطب جميع الأمم دونما تفرقة أو تمييز، فقد نظمت أحكام الشريعة الإسلامية كافة نواحى الحياة بقواعد عامة وأحكام محكمة وشاملة آمره أو ناهية أو مخيره.

وقد حاز الإسلام قصب السبق فى بيان أهمية البيئة وإبرازها، ومن ثم ضرورة ووجوب الحفاظ على توازنها، على اعتبار أن الخلل الذى يلحق بأحد مكوناتها قد ينتج عنه دمار الحياة على الأرض أو إلحاق الأذى بهذه الحياة على أقل تقدير[٣]، وتحفل الشريعة الإسلامية فى مجال البيئة بكثير من التعاليم التى تحث أفرادها على حماية العنصر البيئى، وذلك من منطلق عقائدى يحقق الحماية النابعة من الضمير الإنسانى فى صورتها المثلى[٤].

العلاقة بين الإيمان والحفاظ على البيئة:

الإيمان بالله تعالى هو الركيزة الأساسية، وهو العقيدة الثابتة، التي تسيطر على الوجدان، وهو الفكرة الراسخة التي تُخضع الأعمال والآمال، وتوجه السلوك البيئي الإنساني إلى محرابه الأكبر، وهو اللبنة

---

(١) سورة طه، الآية رقم (٥٥).

(٢) البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني، د، عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، الدر المصرية اللبنانية، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٤١ وما بعدها.

(٣) الموجز في الإسلام وحماية البيئة، دراسة تحليلية للحماية الجنائية للبيئة فى التشريع والفقه الإسلاميين، د. محمود صالح العادلي، دار النهضة العربية، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، ص٣٦.

(٤) الحماية الشرعية للبيئة المائية دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعى، أشرف عبد الرازق ويح، بدون دار نشر وبدون سنة نشر، ص ١٢.

الأولى في البناء الإيماني القويم للإنسان المسلم، والإيمان بالله هو النبع الفياض لكل الفضائل الفردية والاجتماعية، وهو الأصل الذي به وعلى أساسه ينتقل الإنسان من الكفر إلى الإيمان(١)، "والإنسان مخلوق من مخلوقات الله عز وجل، وصلاح حياته مرهون بمعرفة الحق واتباعه، وفسادها نتيجة محتومة لجهله بالحق، أو تمرده عليه وإن عرفه"(٢)، وتكريمه مرتبط بمدى إيمانه بالله تعالى، ومدى حسن تعامله مع البيئة التي يعيش في كنفها، كما أن الإيمان هو الدستور العام الذي يحكم علاقة المؤمن بالكون وما فيه، وعلاقته بغيره من الناس، وبسائر الكائنات والجمادات من حوله، يضاف إلى ذلك أن الإيمان بالله تعالى، هو أعظم قوة وجدانية في الكيان الإنساني، تؤثر في كل جوانب نشاطاته الظاهرة والباطنة(٣)، وهو في الحقيقة أعظم وظيفة يقوم بها المكلف في حياته(٤)، وفي تعامله مع البيئة التي ينعم في ظلها بشتى مظاهر الإيمان.

ولما كان الإيمان بالله تعالى على هذه الدرجة من الأهمية، فقد كرم الله به الإنسان، ومنحه بيئة خلابة وطبيعة ساحرة، تزيد من إيمانه وتعينه على تقواه، وذلك بأن جعل الله تعالى الإيمان أمرًا فطريًا في طبيعة البشر، وخلَقَ الله الإنسان، مفطورًا على التوحيد، ومجبولاً على الإيمان، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾(٥) ، "ومعنى فطر الناس على الدين الحنيف، أن الله خلق الناس قابلين لأحكام هذا الدين، وجعل تعاليمه مناسبة لخلقتهم غير مجافية لها، غير نائين عنه ولا منكرين له، مثل إثبات الوحدانية لله؛ لأن التوحيد هو الذي يساوق العقل والنظر الصحيح، حتى لو تُرك الإنسان وتفكيره، ولم يلقن اعتقادًا ضالًا لاهتدى إلى التوحيد بفطرته"(٦)، قال الإمام ابن كثير(٧): "فسدد وجهك، واستمر على

---

(١) انظر: العقيدة وشخصية رجل العقيدة، من مختارات دار الدعوة، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، إسكندرية – مصر، ١٤٣٥هـ، ص٧.

(٢) الإيمان أركانه – حقيقته – نواقضه، د. محمد نعيم ياسين، دار الفرقان، عمان – الأردن، ١٤٢٣هـ، ص١.

(٣) انظر: الإيمان بالله في عصر العلم، د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، حققه وقدم له: د. فيصل بدير عون، مطابع دار الجمهورية للصحافة، القاهرة – مصر، هدية مجلة الأزهر لشهر رمضان ١٤٣٧هـ، ص١٧.

(٤) سلسلة أسس تربية الفتاة في الإسلام (١) أسس التربية الإيمانية للفتاة المسلمة، د. عدنان حسن باحارث، دار المجتمع للنشر والتوزيع، مكة المكرمة – السعودية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٢٩.

(٥) سورة الروم، الآية رقم (٣٠).

(٦) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدر التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج٢١ ص٩٠.

(٧) ابن كثير (٧٥٩ – ٨٠٣ هـ) هو: محمد بن إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو عبد الله البصروي، ثم الدمشقي، الشافعي، (أبوه الحافظ ابن كثير، المفسر، المؤرخ المشهور) محدث، حافظ، مؤرخ، قال عنه ابن حجر: وسمع معي بدمشق، ثم رحل

الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية، ملة إبراهيم الذي هداك الله لها، وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره"[١]، ولعل في تسخير الله تعالى البيئة للإنسان ما يجعله يتمتع بهذا القدر من الإيمان.

ولا يحتاج الإنسان بفطرته، التي فطره الله عليها إلى عظيم تدبر أو مزيد تفكير، فقد استقر في النفس البشرية أن المصنوع لا بد له من صانع، وعلى ذلك فإن الإيمان بوجود الله، شعور فطري قوي في النفس الإنسانية، يصعب تجاهله، ولا يمكن إنكاره، وقد اعتبر علماء الاجتماع الإنسان غير المتدين شخصًا شاذًا عن الطبع السوي، ويساعده على ذلك الصور البيئية المتنوعة والتي تتدرج في مدى اعتبارها من عوامل الإيمان.

وللتأكيد على تكريم الإنسان بأن منحه بيئة إيمانية، فلم يجعل الله عز وجلّ الإيمان به بالوراثة، يتوارثه الخلف عن سلفهم، كما لم يكن أمرًا إجباريًا، أو فرمانًا مفروضًا, وإنما يكون بإرادة فردية خالصة حرة، لا يشوبها إكراه أو غصب؛ حيث أن الإيمان من حيث الأصل، هو هداية ربانية نورانية، وفضل من الله ومنة، على من يحب من عباده ويكرم، قال تعالى: ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[٢]وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾[٤]، ولمزيد من التأكيد على حرية تكريم الإنسان بمنحه البيئة الطبيعية، وردت الكثير من الآيات القرآنية، التي تذكر النبي بأنعم الله على عباده من بيئة يجب المحافظة عليها، فقد تنبأت الآيات بما عانت وتعاني منه البيئة، فقال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾[٥]، ونهت الآيات عن أسباب تدهور البيئة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨٥﴾[٦]، ودعت

إلى القاهرة، فسمع من بعض شيوخنا، وتمهر في هذا الشأن قليلًا وتخرج بابن النجيب، ودرس في مشيخة الحديث بعد أبيه بتربة أ/ صالح.[شذرات الذهب ٣٥/٧؛ والضوء اللامع ١٣٨/٧؛ ومعجم المؤلفين ٥٩/٩].

(١) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، دار مطبعة مصر، القاهرة – مصر، ١٤٠٩هـ /١٩٨٨م، (٢٨٢/٤).

(٢) سورة النور: الآية (٣٥).

(٣) سورة الكهف: الآية (٣٩).

(٤) سورة البقرة : الآية (٢٥٦).

(٥) سورة الروم: الآية (٤١).

(٦) سورة الروم: الآية (٥٦).

الآيات إلى إصلاح البيئة وإعمارها، فقال سبحانه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[1]، وأبانت الآيات عن منهج الوسطية والاعتدال اللازم، والذي يجب اتباعه للمحافظة على البيئة، فقال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[2]، وأمرت الآيات بالاستجابة لأحكام الشريعة الإسلامية، والتي تشكل في شأن البيئة دعوة إلى الحياة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ ﴿٢٤﴾﴾[3].

والإيمان الذي كرم الله به الإنسان، هو العقيدة، و"العقيدة الإسلامية، ضرورية للإنسان ضرورة الماء والهواء، إذ هو بدون هذه العقيدة ضائع تائه، يفقد ذاته ووجوده"[4]. ولذلك فإن الإيمان "والعقيدة في الله ليست ترفًا فكريًا ولا نافلة، إنما هي فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي حاجة ملحة في النفس والروح، فإذا فقدت تركت فراغً في النفس لا يملأ، وجرعة في الروح لا تسد، وخرابً في الضمير لا يعمر، وذلك سر ما تعانيه المجتمعات الملحدة، أو التي لا تعطي عالم الروح اهتماما كبيرًا من قلق، وما تشكو منه من حوداث الانتحار والصرع والجنون، وانتشار الخرافات"[5] . "وإذا كانت هذه منزلة الإنسان في الوجود، من حيث هو إنسان، فإن منزلته تعلو وتعظم حينما يؤمن بالله تعالى، وبرسالاته، ويؤمن بلقائه وحسابه في الدار الآخرة، وتعلو أكثر حينما يتفكر فيما حوله ويحافظ على بيئته، إن هذا الإنسان المحافظ على بيئته التي يعيش فيها، هو روح الحياة، وإكسير العالم، وهو خير البرية وأفضل الخليقة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾[6]، إنه المخلوق الذي جعله الله له وليًا، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[7]، وخصه

---

(١) سورة هود: ألاية (٦١).

(٢) سورة القصص: الاية (٧٧).

(٣) سورة الأنفال: الآية (٢٤).

(٤) العقيدة في ضوء الكتاب والسنة، (١) العقيدة في الله، أ.د عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس، عمان –الأردن، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص١٥.

(٥) منهج القرأن في التربية، أ . محمد شديد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٩٧٧م، ص٧٠ وما بعدها.

(٦) سورة البينة: الآية (٧).

(٧) سورة البقرة: الآية (٢٥٧).

سبحانه بمعيته – معية الحفظ والتأييد – قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٩﴾[1]، وهو الذي تكفل الله بنصره والدفاع عنه:﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾[2]،﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[3]، وهو الذي وعد الله أن ينجيه من الشدائد والكربات، وإن تفاقمت، كما نجى يونس من بطن الحوت: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾[4]، وهو الذي ينزل ملائكته لتؤيده وتشُدّ من أزره:﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ ١٢﴾[5]، وهو الذي أعد الله له جنته ودار مثوبته، ومظهر رضوانه ومحبته، قال تعالى:﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾[6]"[7]، وإن من الحقوق الأساسية التي كفلتها الشريعة الإسلامية في تكريم الإنسان بالإيمان، حق التمتع ببيئة نظيفة، فهذا الحق العظيم من حقوق الإنسان، لايكفي أن تمنحه شريعة عادلة بنظامها ودولتها، إذ أنه من إيمان الإنسان الصادق بالله يتبع إدراكه، فإن إرادته لا يملكها إلا الله، وتتجمع طاقته وقدرته لرفض العبودية للبشر إلى حد القتال عن حرية إرادته[8].

"ولا ريب أن اعتقاد الإنسان بكرامته على الله، ومكانته في الملأ الأعلى، ومركزه القيادي في هذا الكون – وخصوصًا بعد إيمانه بالله تعالى– يجعله يشعر بذاته، ويغالي بقيمة نفسه، لأنه يعتز بانتسابه إلى الله، وارتباطه بكل ما في الوجود، فيحيا عزيز النفس، عالي الرأس، أبيًا للضيم، عصيًا على الذل

(١) سورة الأنفال: الآية (١٩).
(٢) سورة الروم: الآية (٤٧).
(٣) سورة الحج: ألاية (٣٨).
(٤) سورة الأنبياء: الآية (٨٨)
(٥) سورة الأنفال، الآية رقم (١٢).
(٦) سورة الحديد، الآية رقم (٢١).
(٧) قيمة الإنسان وغاية وجوده في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت، ١٤١٦هـ=١٩٩٥م، الطبعة الثانية، ص١٣ وما بعدها.
(٨) انظر: مع القرآن الكريم، رؤية مستنيرة لحقائق الإيمان والحياة، إعداد: عبد الفتاح عساكر، المركز الثقافي للمقاولين العرب – العدد الأول، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة – مصر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص١٩٠ وما بعدها.

والهوان، بعيدًا عن الشعور بالتفاهة والضياع والعدم والفراغ، وهذا الإحساس الذي يعيش به المؤمن ليس شيئًا هينًا ولا بضاعة مزجاة، إنه كسب كبير ومغنم ضخم للإنسان، كسب له في عالم الشعور والتصور، وفي عالم الواقع والسلوك. وما أعظم الفرق بين رجلين يعيش أحدهما وهو يعتقد في نفسه أنه مجرد حيوان من فصيلة راقية، ليس له قبل حياته جذور، وليس له بعد موته امتداد، وليس له في حياته صلة بالوجود الكبير أكثر من صلة القرود، ويعيش الآخر وهو يعتقد أنه خليفة الله في أرضه، ونائبه عن إقامة الحق، وإقامة الخير، وإشاعة الجمال في هذا الكون، ويشعر بأن الكون في خدمته، والملائكة الكرام في حراسته، وأن رب الوجود في معيته، وأنه من فصيلة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن وجوده لا ينتهي بالموت، وداره لا تنتهي بالقبر، فإنما خلق للخلود وللأبد الذي لا ينقطع ولا يزول"[١].

إن هذا الشعور الأصيل بالإيمان الذي كرم الله به الإنسان، الذي بلغ حد الاعتقاد الجازم، واليقين الذي لا يعتريه شك ولا ريب، بمنزلة الإنسان في الكون عامة، ومنزلة الإنسان المؤمن خاصة، هو أحد وأهم النقاط الرئيسية التي تخالف فيها العقيدة الإسلامية، التفكير المادي الذي يسود ويسيطر على الحضارة المادية اليوم، في نظرتها إلى الإنسان، وأنه مجرد حيوان من فصيلة راقية، وأن نهاية مطافه هذه الحياة الفانية[٢] .

وإذا كان الإيمان يعد كرامة إنسانية؛ من حيث كونه أمرًا فطريًا، ونزعة أصيلة في نفس الإنسان، فإنه من ناحية أخرى يعد ضرورة بيئية من ضرورات البيئة التي يعيش فيها الإنسان، لا تستقيم حياة الإنسان بدونها، ومن هنا نرى في عالمنا المعاصر مقدار ما يعانيه الإنسان – غير المؤمن – في العصر الحديث من تمزق نفسي بسبب الفراغ الروحي، الأمر الذي يجعله كالمعلق بين السماء والأرض، ليس لديه أساس راسخ يركن إليه، ولا إيمان ثابت يملأ جوانب نفسه بالسكينة والطمأنينة، وهذا يؤكد لنا ارتباط الإيمان بالبيئة ارتباطًا وثيقًا لا ينفصم، ولا تنقض عراه، فالمؤمن لا يمكن أن ييأس أبدًا من إصلاح بيئته مهما اعتراها من فساد، أو يتسرب القلق إلى نفسه أو الشك إلى قلبه[٣]، وفي ذلك تتجلى بلاغة القرآن معبرًا عن ذلك.

---

(١) قيمة الإنسان وغاية وجوده في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، مرجع سابق، ص١٥.

(٢) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ص٥١ وما بعدها.

(٣) انظر: الإنسان والقيم في التصور الإنساني، د.محمود حمدي زقزوق، مطابع الأهرام التجارية، مصر – القاهرة، هدية مجلة الأزهر المجانية لشهر رمضان المبارك ١٤٣٦هـ، ص٥٧ وما بعدها.

وعلى ذلك فإن تداول الليل والنهار، وتداول الفصول بالقدر المطلوب للحياة عليها، وتوازن الحرارة والبرودة فيها بالقدر المطلوب، وتوزيع عناصر الجو من النيتروجين بمقدار ٧٨%، والأوكسجين بمقدار ٢١% والغازات الأخرى الصغيرة، إن هذا كله محسوب حسابًا دقيقًا لا يخطئ، بهدف كفالة وحماية البيئة واستمرار الحياة عليها[١].

العلاقة بين تكريم الإنسان وحماية البيئة:

وقد اقتضى تكريم الله تعالى للإنسان أن يسخْر له جميع ما فى الكون من مخلوقات ونعم، فضلاً عن تهيئة كافة الموارد لمنفعته، فلا يستعصى أى منها عليه، وهو ما يعنى أن الإسلام أقر للإنسان الحق فى البحث عن خواص هذه الموارد وأسرارها وأيضًا سلطة الانتفاع بأعيانها المادية[٢]. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[٣] ، وقال جل شأنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[٥] .

وقد أحكم الله تعالى خلق البيئة الطبيعية وأتقن صنعها كمًا وكيفًا ونوعًا ووظيفة[٦]، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾[٧].

فقد أوجد الله سبحانه هذه البيئة بمعطيات ومكونات لها مقادير محددة ومضبوطة، فإذا حدث نقص أو تغيير فى أى عنصر من عناصر البيئة اضطرب توازنها، وصارت البيئة عاجزة عن إعالة الحياة بشكلها

---

(١) حماية البيئة الخليجية وأثره على البيئة العربية والعالمية، خالد محمد القاسمي؛ وجيه جميل البعيني، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية – مصر، ١٩٩٩م، ص١٢.

(٢) قانون حماية البيئة الإسلامي مقارنًا بالقوانين الوضعية، د. أحمد عبد الكريم سلامة، مرجع سابق، ص ٦ وما بعدها.

(٣) سورة الإسراء، الآية (٧٠).

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٩).

(٥) سورة لقمان، الآية (٢٠).

(٦) البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث، د. محمد عبد القادر الفقى، مكتبة ابن سيناء للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص ٣٠

(٧) سورة النمل، الآية (٨٨).

المعتاد، ويعتبر التلوث من أخطر العوامل التى تؤدى إلى اضطراب التوازن البيئى، فهو إحدى صور الفساد الذى يتسبب فيه الإنسان نتيجة إخلاله بتوازن النظم البيئية[١].

ولما كان الإنسان خلقه الله تعالى لعبادته، فإن له دور وشأن فى الوجود، وذلك على اعتبار أنه خليفة الله تعالى في الأرض، وخلافة الله تقتضي نوعًا من التكريم الإلهي للإنسان، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[٢]

تكريم الله للإنسان بالعقل ليحافظ على البيئة التي يعيش فيها:

ومن مظاهر تكريم الله تعالى للإنسان للحفاظ على البيئة، أن الله كرمه بالإيمان، والعقل، والعلم والمعرفة، وإرسال الرسل وإنزال الكتب، ومظاهر تكريم المولى عز وجل دائمة لا تنتهي، ومستمرة لا تزول ولا تحول، فقد "فاجأ الإسلام الناس بمبدأ لم يكونوا يحلمون به، ولا يتوقعون أن يسمعوه في عهد من عهودهم، وهو قوله ﷺ: "الدين هو العقل ولا دين لمن لا عقل له"[٣]، وكانت سنة قادة الأديان قبل ذلك في مشارق الأرض ومغاربها، "اطفيء مصباح عقلك، واعتقد وأنت أعمى"[٤]. و"الإنسان مكرم بالعقل، الذي تتم به معرفة الله تعالى، وفهم كلامه، وتصديق رسله، فالإنسان فُضل على الحيوانات كلها في نفسه وجسمه، أما فضله في نفسه، فبالقوة المفكرة التي بها العلم، والعقل، والحكمة، والتدين، والرأي، فإن البهائم وإن كانت تحس وبعضها يتخيل، فليس لها فكرة ولا رؤية، ولا استنباط المجهول من المعلوم، ولا تَعرِفُ علل الأشياء ولا أسبابها، وليس في قوتها تعلُّم الصناعات الفكرية وغيرها[٥].

وعلى ذلك تعتمد الشريعة الإسلامية في حماية البيئة، علي أسس هامة منها احترام العقل وتكريمه، حيث كرم الإسلام العقل، لأنه هو المنوط به تكليف المولي عز وجل، وعن طريقه يتم معرفة الله

---

(١) البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث، د. محمد عبد القادر الفقى، مرجع سابق، ص ٣١

(٢) سورة البقرة، الآية (٣٠).

(٣) أخرجه النسائي في باب "الكُنى"، السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي،ط١، (مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت،١٤٢١هـ)، (١٠٤/٢)، وقال النسائي: هذا حديث باطل، وقال عنه الألباني (حديث باطل)، انظر: السلسة الضعيفة، مكتبة المعارف – الرياض، (٣٧٠/١).

(٤) الإسلام دين عام خالد تحليل دقيق لمباديء الدين الإسلامي، محمد فريد وجدي، (هدية مجلة الأزهر المجانية لشهر ربيع الآخر ١٤٢٦هـ، مصر – القاهرة)، ص٦٧.

(٥) الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الراغب الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٨٩م، ص٢٥.

تعالى والإيمان به، ومن خلاله يتحمل كل إنسان مسئولية أفعاله، وكذلك الجزاء المتعلق بذنوبه وأوزاره[١] ، ولتوضيح ذلك، يمكن القول بأن السبيل نحو معرفة الخالق سبحانه، لا يتم إلا عن طريق العقل الذي يفكر فيما حوله، لذا فإن من فقد عقله يزول عنه أي تكليف، أو حساب، ومن أمثلة ذلك المجنون والطفل، كما أن طبيعة الإيمان نفسها، لا تتأتي لأي إنسان إلا عن طريق العقل، أي أن إعمال العقل عن طريق التدبر أو التفكير، يخرج الإنسان من الكفر إلي الإيمان، ولذا تتمثل الأهمية الكبرى في تكريم الإسلام للإنسان، بأن منحه عقلًا يفكر، وجعله مسئولاً عن جميع التصرفات الخاصة به. والعقل بطبعه يعرف الخير من الشر، ويهدي إلى الفضائل وينفر من الرذائل، وإن كان يرجع حكم العقل في نهاية الأمر للشرع، فالعقل يميز الإنسان عن سائر الحيوانات، ويقود صاحبه إلى الخير وإلى الغاية التي من أجلها خلق الله تعالى الإنسان، ولذلك كرم الله الإنسان بالعقل[٢]. قال ابن القيم[٣] رحمه الله: "فصل: فضل العقل، وهذا ثمرة العقل الذي به عُرف الله سبحانه وتعالى، وأسماؤه وصفات كماله ونعوت جلاله، وبه آمن المؤمنون بكتبه ورسله ولقائه وملائكته، وبه عُرفت آيات ربوبيته وأدلة وحدانيته ومعجزات رسله، وبه امتثُلت أوامره واجتُنبت نواهيه، وهو الذي تلمح العواقب فراقبها، وعمل بمقتضى مصالحها، وقاوم الهوى فرد جيشه مفلولًا، وساعد الصبر حتى ظفر به، بعد أن كان بسهامه مقتولًا، وحث عن الفضائل، ونهى عن الرذائل، وفتق المعاني، وأدرك الغوامض، وشد أزر العزم فاستوى على سوقه، وقوى أزر الحزم حتى حظى من الله بتوفيقه، فاستجلب ما يزين، ونفى ما يشين، فإذا نزل وسلطانه أسر جنود الهوى فحصرها في حبس من ترك لله شيئًا عوضه الله خيرًا منه، ونهض بصاحبه إلى منازل الملوك، إذا صير الهوى الملك بمنزلة العبد

---

(١) انظر: التربية الدينية الغائبة، أ.د. علي عبد الحليم محمود، مكتبة العبيكان، الرياض – المملكة العربية السعودية، ٢٠٠١م، ص٢٠٦ وما بعدها.

(٢) انظر: منزلة الإنسان ووجوده في المذاهب الفكرية المعاصرة دراسة نقدية في ضوء الإسلام، محمد عطا محمد أبو سمعان، رسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية – غزة عمادة الدراسات العليا كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، العام الجامعي، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ص١٦.

(٣) ابن القيم (٦٩١ – ٧٥١هـ) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، شمس الدين من أهل دمشق، من أركان الإصلاح الإسلامي، واحد من كبار الفقهاء تتلمذ على يد ابن تيمية، وانتصر له ولم يخرج عن شيء من أقواله، وقد سجن معه بدمشق، وكتب بخطه كثيرًا، وألف كثيرًا، من تصانيفه: (الطرق الحكمية)؛ (مفتاح دارالسعادة)، (الفروسية)، (ومدراج السالكين)، (إغاثة الهفان). [الأعلام للزركلي ٦/٢٨١؛ والدرر الكامنة ٣/٤٠٠].

المملوك."[1]، وقال الإمام الماوردي[2]: "إعلم أن لكل فضيلة أسًا، ولكل أدب ينبوعًا، وأس الفضائل، وينبوع الآداب، هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلًا، وللدنيا عمادًا، فأوجب الدين بكماله، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه، وألف به بين خلقه، مع اختلاف هممهم ومآربهم، وتباين أغراضهم ومقاصدهم، وجعل ما تعبدهم به قسمين، قسم وجب بالعقل فوكده الشرع، وقسم جاز في العقل فأوجبه الشرع، فكان العقل لهما عمادًا."[3].

ويرى الباحث: أن الربط بين تكريم الله تعالى للإنسان بالعقل وبين حماية البيئة، أمر واضح البيان لايخفى على ناقد بصير، وهو ما يتبين لنا مما سبق، لماذا كرم الله الإنسان بالعقل، إلى الحد الذي شاد القرآن الكريم والسنة المطهرة بالعقل؛ حيث لا يحافظ على البيئة بمفهومها الواسع إلا الإنسان العاقل.

وفيما يلي نرى ربط القرآن بين تكريمه للعقل والحفاظ على البيئة، فقد "أُستخدم العقل في القرآن الكريم للدلالة على الصفة التي يمتاز بها الإنسان عن غيره من الخلق، وهو مناط التكليف والحساب، ولهذا كان من الخطاب القرآني الموجه للإنسان أن يُذكر دائمًا بأصل التفضيل على الخلق، كقوله تعالى: ﴿قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨﴾[4]، ويكفي أن عبارة ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤﴾، وردت أكثر من أربع عشرة مرة"[5]. "والعقل في ديننا الحنيف له من التكريم والتبجيل، ما يجعله يتربع على عرش التكريم الذي أعطاه

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م، ص٧.

(٢) الماوردي(٣٦٤ – ٤٥٠هـ) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوري، في صباه ورث عن أبيه صناعة (ماء الورد) يقضي النهار كله أمام أبواب المساجد يبيع ماء الورد لطلاب العلم وروّاد المدارس مقابل دراهم معدودة يتقوى بها على متاعب الحياة، ولد في مدينة البصرة ونشأ فيها يسقي طلاب العلم ماء الورد، ولسعة علمه في الفقه يُعتبر من أكبر فقهاء الشافعية والذي ألف في فقه الشافعية موسوعته الضخمة كتابه (الحاوي) في أكثر من عشرين جزءاً، وكان حافظًا للمذهب، من تصانيفه: (أدب الدنيا والدين؛ الأحكام السلطانية؛ قانون الوزارة؛ نصيحة الملوك؛ تسهيل النظر وتعجيل الظفر). [سير أعلام النبلاء١٨/٦٤؛ طبقات الفقهاء للشيرازي، ص١٣٨].

(٣) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي البصري الماوردي، تحقيق: د. محمد صباح منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، ١٩٨٦م، ص١٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية (١١٨).

(٥) الاتجاهات العقلانية الحديثة، ناصر العقل، دار الفضيلة، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص٢٨.

الله عز وجل للإنسان، وسمى العلم المستفاد منه روحًا ووحيًا وحياة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾[1] وقال سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾[2]، وحيث ذكر النور والظلمة، أراد به العلم والجهل، كقوله: ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[3][4].

ونستعرض فيما يلي، بعض النصوص القرآنية، التي تبين كيف تكريم الله للإنسان بالعقل، وهي تهدف في مقامها الأول إلى حماية المنظومة الكونية والبيئية، ومن ثم توجيه العقل نحو التدبر والتأمل والتفكر في السماء والأرض وما فيهن، وفي كل مناحي الطبيعة، وفي النظر إلي الذات البشرية، وما احتوته من عجائب وتناسق، بدقة منقطعة النظير، صنع الله تعالي وتنزه عن كل عيب أو نقص، والقرآن الكريم هو كلام الله المعجز في كل شيء، الذي لا يشوبه أي خلل ولا يعتريه أي نقص، وهو يسمو عن كلام الخلق جميعًا أنسهم وجنهم، ويعلو ولا يُعلى عليه، ومثال لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾[5]، فمن الظواهر التي لا يمكن أن يدركها الإنسان إلا عن طريق العقل والتدبر، الحركة الخاصة بالشمس والقمر، وتعاقب الليل والنهار، وتنقل السفن في البحار الواسعة، وطريقة نمو النبات، وجميع الظواهر سالفة الذكر، الذي لا مثيل له في الدقة، يقول الشيخ الطاهر ابن

---

(١) سورة الشورى، الآية (٥٢).

(٢) سورة الأنعام، الآية (١٢٢).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٥٧).

(٤) مقصد العقل في الصراع العربي الصهيوني، د. سامي محمد الصلاحات، بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت، السنة (٢٢) – العدد (٦٩) – جمادي الآخرة ١٤٢٨هـ / يونيو٢٠٠٧م، ص٢٨٢ وما بعدها.

(٥) سورة البقرة، الآية (١٦٤).

عاشور[1]: "فوجه دلالة هذه الآيات على الوحدانية، أن هذا النظام البديع في الأشياء المذكورة، وذلك التدبير في تكوينها وتفاعلها وذهابها وعودها ومواقيتها، كل ذلك دليل على أن لها صانعًا حكيمًا، متصفًا بتمام العلم والقدرة والحكمة، وهي الصفات التي تقتضيها الألوهية."[2]، ويقول المولي عز وجل في إشارة إلي خلق الأرض والسماوات، وفيها دعوة صريحة للتدبر والتأمل لذوي العقول السليمة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾[3]، وضح السياق القرآني الفريد، الخطوات الخاصة بالحركة النفسية التي يحدثها مشاهدة السماوات والأرض، وتتابع الليل والنهار لدي أولي الألباب توضيحًا دقيقًا، وفي نفس الوقت هو عبارة عن تصوير بديع، ليلفت القلوب ويوجهها نحو المنهج الأمثل في التفاعل مع مكونات الكون، ومن جهة التخاطب معه بلغته، ويجعل الكون الواسع كتاب مفتوح، حفاظًا على البيئة؛ حيث يقول المولي عز وجل: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾﴾[4]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾[5]، والهدف من هذه الأدلة التي تحرك العقل البشري، الذي كرم الله به الإنسان، أن يقوم الإنسان بالتفكر فيها وتدبرها، حيث أشارت تلك الدلائل إلي حقيقة الإيمان بالمولي عز وجل، ومنها ما يختص بالظواهر التي توجد في السماوات، ومنها الظواهر التي توجد في الأرض، مثل العلوم التي تخص الإنسان أو النبات أو الحيوان، ونلقي الضوء عليها، فيما يلي:

---

(١) ابن عاشور (١٢٩٦-١٣٩٣هـ) هو: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، عين عام (١٩٣٢م) شيخًا للإسلام مالكيًا، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها: (مقاصد الشريعة الإسلامية؛ أصول النظام الاجتماعي في الإسلام؛ والتحرير والتنوير في تفسير القرآن الكريم؛ الوقف وآثاره في الإسلام؛ أصول الإنشاء والخطابة؛ موجز البلاغة؛ ومما عنى بتحقيقه ونشره ديوان بشّار بن برد)؛ وكتب كثيرًا في المجلات، وهو والد محمد الفاضل.[الإعلام للزِركلي، ج٦ ص١٧٤].

(٢) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، (٨٨/٢).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٩٠).

(٤) سورة النحل، الآية (٣).

(٥) سورة الروم، الآية (٨).

أولًا: الدلائل بالظواهر السماوية،

ونستدل على هذه الدلائل بما يأتي.

(١) الدعوة الصريحة للآيات القرآنية للتدبر والتفكر العقلي في المكونات السماوية، وما شملته من آيات ربانية متقنة ومبدعة: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾[١]، وفي آيات قرآنية أخري ذمت من ترك وابتعد عن التدبر، في الآيات الكونية المتقنة، ومن ذلك قول المولي عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ۝٣٢﴾[٢]، وجاء في آية أخري تأنيب للمشركين بسبب غفلتهم عن التأمل والتدبر في ملك السماوات والأرض، الذي يرشدهم ويهديهم إلي معرفة الخالق، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨﴾[٣].

(٢) انشغال العقل بالتفكير والنظر إلي السماوات، التي رفعت بلا أعمدة، فهذا إن دل فهو يدل علي تكريم الخالق للعقل، الذي وهبه الإنسان، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠﴾[٤].

(ج) التفكير والتأمل في طريقة تسخير الله تعالى لهذه الظواهر السماوية، حيث تقوم بمساعدة الإنسان في استعمار الأرض والاستخلاف فيها، وهذه نعم عظيمة من نعم الله على عباده، قال تعالي: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٢﴾[٥].

(د) البحث والنظر في كيفية حدوث ظاهرتي الليل والنهار، ودوران كل من الشمس والقمر والأرض في مدارات محددة، والتدبر في دقة حركتهم في تلك المدارات، مع ثبات سرعة الحركة بدون وضع احتمالية نسبة خطأ، ففعل مثل هذا لا يمكن أن يحدث أو يرتب له إلا من قبل إله قادر علي كل شيء، له مطلق

---

(١) سورة ق، الآية (٦).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٣٢).

(٣) سورة الغاشية، الآيتان (١٧، ١٨).

(٤) سورة لقمان، الآية (١٠).

(٥) سورة النحل، الآية (١٢).

القدرة، ألا وهي قدرة الحكيم العظيم ﷻ، قال تعالي: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم ۝٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ۝٤٠﴾[1]، كما قال تعالي في سورة الفرقان: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ۝٦١ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ۝٦٢﴾[2].

ثانيًا: الدلائل المختصة بالظواهر الأرضية.

فإذا كان من الصعب علي الإنسان معرفة تفاصيل الشمس والقمر والنجوم والكواكب، والعجز عن معرفة أسرارها، وصلته بهم التي قد تكون بعيدة، فإنه يدرك الكثير والكثير عن عالم الأرض الملتصق به، من أحوال وأسرار وغير ذلك، نظرًا لقربه من بصره وبصيرته ووعيه، أكثر منها في العالم السماوي، لبعدها وبعد الصلة بينها وبين الإنسان[3].

فبتوجيه من الوحي الكريم والفطرة السليمة، للتأمل والتفكير بالعقل الذي كرم الله به الإنسان، في كل هذه الظواهر الأرضية، لوجد فيها من الدقة والإبداع والإتقان، ما يلغي احتمال صدفية الخلق وينفيها، ولاتضحت له فكرة حقيقة الموجد لهذه المخلوقات، في الكون والمتقن صنعها، ولظهر له البرهان واضحًا حول ذلك، ولأدرك أن الله خالق كل شئ، وأبدع خلقه وأتقن صنعه، والعقل الذي كرم الله به الإنسان، إن لم يستخدمه الإنسان وفق ما أراد له، فقد التكريم، وأضل السبيل، وصار كالأنعام؛ حيث "يتسم سلوك الحيوان بأنه مظهر من مظاهر دوافعه وغرائزه المنضبطة فطريًا بحدود حاجاته ومصالح جسده، فإذا أشبعت حاجاته كفّ وعفّ، وقلما يتجاوز الحيوان حدود ما ينفعه إلى ما يضره، وذلك بكوابح فطرية من غريزته. أما الإنسان: فقد جُعلت غرائزه ودوافعه وأهواؤه وشهواته، رعية تحت سلطة إرادته الحرة، ومنح بالإضافة إلى إرادته عقلًا يمكن أن يدرك فيه خيره وشره، وما ينفعه وما يضره، ليكون الموجه لإرادته

---

(١) سورة يس، الآيات (٣٧ – ٤٠).

(٢) سورة الفرقان، الآيتان (٦١ ، ٦٢).

(٣) انظر: كتاب التوحيد، د. عبد المجيد الزنداني، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م)، (٢٢٨/٣).

والمحرك لعواطفه، فإذا استرشدت إرادته بعقله، وكان إدراكه للأمور صحيحًا، استقام سلوكه بمقدار سلامة وصحة إدراكه للأمور، وإذا تخاذلت إرادته فخضعت لجمهور أهوائه وغرائزه وشهواته ودوافعه ومطالب نفسه، كان كالأنعام بل كان أضل سبيلًا، لأن هذه العناصر في نفسه لا كوابح لها من أصل فطرتها، بعد أن منح الإنسان البديل عن هذه الكوابح من عقله وسلطان إرادته، وحين تصبح هذه العناصر هي الحاكمة على إرادة الإنسان، وهي صاحبة السلطان، تأخذ به إلى إفراط يضره ويهلكه، أو تفريط يضره ويهلكه"[1].

ويرى الباحث: أن هذه الإشارات والدلالات البيانات التي ليست ببعيدة على ذوي العقول والبصائر، إنما المقصد منها الحفاظ على المنظومة الكونية متناسقة صافية، غير ملوثة وغير جائر عليها، ولا يمكن إدراك ذلك إلا بالعقل، ولا عاقل غير الإنسان، ولذا كان العقل من أجل نعم الله على البشر، وأفضل ما كرم به الله تعالى الإنسان على الإطلاق، فبه تعرف النعم وتقدر الأمور، ويحافظ الإنسان على بيئته التي يعيش ويحي فيها.

وتكريم الله تعالى للإنسان، هو تكريم لذاته الإنسانية، ولدوره في عمارة الأرض، والحفاظ على البيئة، وقد ظهرت مقومات التفضيل والتكريم من خلال العلم والمعرفة، وما أودعه الله في الإنسان من عقل يفكر، وقلب يعي، ولما كان الإنسان هو خليفة الله في أرضه، فقد سخر الله تعالى له ما في السماوات وما في الأرض، وهيأ لها بيئة نظيفة وسليمة، تكريمًا له وتشريفًا، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[2].

(١) في سلسلة طريق الإسلام (١)، العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٣٠.

(٢) سورة إبراهيم، الآيات (٣١ – ٣٤).

المبحث الثاني

ماهية البيئة في القانون الوضعي

تمهيد وتقسيم:

وهو مأ يستلزم منا إلقاء الضوء على البيئة؛ لأهميتها، وذلك ببيان نشأة حماية البيئة في التشريعات القديمة (مطلب أول)، ومفهومها في التشريع الوطني (مطلب ثاني)، ثم بيان مفهوم البيئة في القانون الدولي (مطلب ثالث)، ثم نختم بمقارنة بين ماهية البيئة في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي (مطلب رابع)، وذلك على النحو الآتي بيانه

:المطلب الأول

حماية البيئة في التشريعات القديمة

تمهيد وتقسيم:

سوف نتناول حماية البيئة عبر التاريخ من خلال فرعين؛ حيث نتحدث عن : حماية البيئة فى مصر الفرعونية (فرع أول)، وحماية البيئة فى بلاد الرومان (فرع ثاني)، وذلك على النحو التالي:

الفرع الأول

حماية البيئة فى مصر الفرعونية

اهتم المصريون القدماء بحماية البيئة من التلوث، فقد حرصوا على النظافة العامة، وذلك بالعناية بمساكنهم وطرقاتهم، كما حرصوا على النظافة الخاصة، وذلك بنظافة الجسد فى سبيل الحفاظ على الصحة العامة، والتى كانت شرطًا لدخول الأماكن المقدسة.

كما اعتنى المصريون القدماء بنظام الصرف الصحى، والقيام بعمل قنوات خاصة لتصريف المياه المستخدمة فى الحياة اليومية، والتى تخرج من المنازل والمعابد، مختلطة بالدهون والزيوت وفضلات القرابين؛ حيث تنتهى هذه الفضلات إلى أماكن بعيدة عن المدن، حيث تتعرض للشمس التي تعمل على تجفيفها فى الرمال، مما يساعد على سرعة جفاف النفايات والفضلات؛ ومن ثم منع تكاثر البكتريا والميكروبات.

كما كان القدماء المصريون أول من ابتكروا المراحيض الصحية بمنازلهم، منعًا لتلوث البيئة المحيطة بروائح الفضلات الآدمية الكريهة، ومن ثم منع انتشار الأوبئة بعدم تعريض تلك الفضلات للهواء الطلق؛

حيث وجدت كراسى للمراحيض داخل المنازل بتل العمارنة والتي كانت مقامة بالطوب اللبن ومغطاة بطبقة من البلاط، ومائلة إلى الداخل حتى تساعد على عملية التنظيف، وفى سبيل اهتمام المصرى القديم بالزراعة ومياه الري، فقد كان حريصًا على تنظيف قنوات الري وإزالة الحفر وإقامة الترع، وإعادة تخطيط الأراضى، ووضع علامات وإشارات تميز الحقوق عن بعضها(١).

ومن جانبنا نرى: أن هذا الاهتمام المفرط لجميع مظاهر حماية البيئة من التلوث، يدل بوضوح على أصالة وعراقة الشعوب المصرية، وحبهم لأوطانهم والحفاظ عليها، والحفاظ على البيئة التي يعيشون بها، ومن ثم فإن التلوث هو حالة استثناءية من الأصل العام، وهو الحفاظ على البيئة من التلوث.

الفرع الثاني

حماية البيئة فى مصر الرومانية

يعد القانون الرومانى في نظر الكثير من الباحثين، هو قانون الحضارة والمدنية، كما يعتبر مصدرًا تاريخيًا وحضاريًا للكثير من التشريعات، وقد عرف المشرع الرومانى البيئة وعناصرها بطرق غير مباشرة، دون أن يعرفها تعريفًا فنيًا؛ حيث جاء بالنص الخاص بالقانون الطبيعى، والذي ذكر فى مدونة جوستنيان الصادرة عن الإمبراطور فلافيوس جوستنيان عام ٥٤٤ ميلادية؛ حيث ورد فيه أن: "القانون الطبيعى هو السنن التى ألهمتها الطبيعة لجميع الكائنات الحية، إنه ليس مقصورًا على الجنس البشري، بل سار فى جميع الأحياء، مما يحوم فى الهواء، أو يدب فى الأرض، أو يسبح فى الماء"(٢).

وكذلك فقد ورد بمدونة جوستنيان بعضًا لمظاهر الحماية الجنائية للبيئة فى القانون الرومانى؛ ومن ذلك أن: "الأشياء الآتية مشتركة بحسب القانون الطبيعى، وهى الهواء ومجارى المياه العذبة، والبحار ويتبعها الشواطئ، فلكل الآدميين الاتصال بهذه الشواطئ، على شرط ألا يمسوا ما يكون بها من الدور والآثار القديمة والعمائر، لأن هذه الأشياء ليست كالبحر يجرى عليها حكم قانون الأمم"(٣).

---

(١) المسئولية الجنائية عن التلوث البيئي، د. محمد حسن الكندرى، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق – جامعة عين شمس، القاهرة – مصر، ٢٠٠٥م، ص٢.

(٢) المفهوم القانونى للبيئة في ضوء مبدا أسلمة القانون المعاصر، د. أحمد محمد أحمد حشيش، دار النهضة العربية، القاهرة – مصر، ٢٠٠١م، ص٥٩.

(٣) مدونة جوستنيان فى الفقه الروماني، أ. عبد العزيز فهمى،عالم الكتب، بيروت – لبنان، ١٩٤٦م، ص٥٦ وما بعدها.

وهو ما يراه الباحث: حيث يرى أن تجريم القانون الرومانى للأفعال التي تمثل أعتداءً على الدور أو الآثار القديمة والعمائر، يمكن اعتباره جريمة جنائية كجريمة الغصب، وذلك حال توافر أركانها وشروطها.

وتبدو حماية البيئة في القانون الرومانى بشكل أوضح، وذلك فيما ورد النص عليه في مدونة جوستنيان؛ حيث نصت على أن: "منشور المحتسبين يجرم إيجاد الكلب أو الخنزير أو الحلوف أو الدب أو الأسد فى الأماكن المعتاد مرور الجمهور بها، ويقضى بأن من يخالف ذلك من ملاك تلك الحيوانات، يحكم عليه القاضى بمبلغ يقدره بحسب أصول العدالة، فى صورة ما إذا كان أيها قد أصاب إنسانًا حرًا بأذى، أما فى صورة إتلاف بعض الأشياء فإن الجزاء يكون بمثلى قيمة الضرر، على أن هذه الدعاوى التى قررها المحتسبون لا تسقط الدعوى الشرية[١] اللازمة عما أتلفه الحيوان"[٢].

ومن جانب آخر فقد تضمن قانون الألواح الإثنى عشر قاعدة رومانية، من شأنها أن تجرم دفن الموتى أو حرقهم داخل المدن، وهو ما يدل دلالة واضحة على الخوف من انتشار الروائح الكريهة والأوبئة وتلويث الهواء بالأدخنة والغازات الضارة، بالإضافة إلى ما توصل إليه الرومان من وضع الحلول المناسبة بشأن التخلص من مشكلة مياه الصرف الصحى؛ حيث أقاموا في سبيل ذلك قنوات خاصة تتراكم فيها الفضلات والنفايات؛ ثم يتم تجميعها وتجفيفها فى أماكن مخصصة لذلك، منعًا لانتشار البكتريا والأوبئة من جهة، ومن جهة أخرى حفاظًا على الصحة العامة[٣].

المطلب الثاني

مفهوم البيئة في التشريع الوطني

على الرغم من أنه لم يكن ثمة اتفاق بين الفقهاء والباحثين على تحديد معنى البيئة من حيث الاصطلاح بشكل دقيق، إلا أن معظم التعريفات تشير إلى مفهوم متقارب؛ حيث يرى بعض الباحثين أن البيئة هي: ذلك الإطار الذي يحيا فيه الإنسان، ويحصل منه على مقومات حياته ويمارس فيه علاقته مع بني البشر

---

(١) يراد بالدعوى الشرَّية: تلكم الدعوى التي من شأنها أن تترتب على جنايات العبد، وذلك كجريمة السرقة والغصب، أو إصابة أشخاص بأضرار فى أموالهم أو إهانتهم بالقول أو الفعل.

(٢) الحماية الجنائية للبيئة الحضارية، دراسة مقارنة في القانون الداخلى والقانون الدولى الجنائى، د. محمود صالح العادلى، دار النهضة العربية، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ص٩ وما بعدها.

(٣) المسئولية الجنائية عن التلوث البيئي، د. محمد حسن الكندرى، مرجع سابق، ص٤.

[1]، كما عرفت البيئة بأنها: الوسط الذي يولد فيه الإنسان، وينشأ، ويعيش فيه حتى نهاية عمره، وتشمل البيئة جميع العوامل الطبيعية والبيولوجية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وكل ما يؤثر على الإنسان بطريق مباشر أو غير مباشر[2]، كما عرف البعض البيئة بمفهومها العام، بأنها: الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان مؤثراً ومتأثراً، وهذا الوسط قد يتسع ليشمل منطقة كبيرة جدًا، وقد يضيق ليتكون من منطقة صغيرة جداً، قد لا تتعدى رقعة البيت الذي يسكن فيه[3]، والبيئة: هي النطاق المادي الذي يعيش فيه الإنسان والكائنات الحية الأخرى، بما يشمله من عناصر طبيعية، وصناعية أضافها النشاط الإنساني[4].

وقد كان للاختلاف حول تعريف البيئة من الناحية الاصطلاحية والفنية دور مؤثر على تعريف البيئة من الناحية القانونية، ذلك أن المهتمين بشأن البيئة من فقهاء القانون، عند محاولاتهم تعريف البيئة باعتبارها محلًا للحماية القانونية اتجهوا اتجاهين:

الاتجاه الأول: أخذ هذا الاتجاه بالمفهوم الضيق للبيئة، فحصروا تعريف البيئة في عناصر الطبيعة.

الاتجاه الثاني: أخذ هذا الاتجاه بالمفهوم الواسع للبيئة، فيجعل تعريف البيئة شاملًا للعناصر الطبيعية والإنسانية، أي البيئة الطبيعية والحضرية.

وبالنظر إلى الاتجاه الذي سلكه المشرع المصري، فإنه قد أخذ بالاتجاه الموسع للبيئة، وعلى ذلك فقد ربطت بين مفهوم حماية البيئة وضرورة تحديد مفهوم دقيق لمحل هذه الحماية، بغض النظر إن كان اتجاهًا موسعًا أو مضيقًا، ولهذا ومن خلال العرض السابق يمكن القول: أن البيئة تأخذ كقيمة يهتم بها القانون بتنظيمها وحمايتها مفهومين.

مفهومًا ضيقًا: بأن تحدد البيئة من خلال العناصر الطبيعية المكونة للوسط الطبيعي، وهي الهواء والماء والتربة والغذاء.

---

(١) تلوث البيئية أهم قضايا العصر المشكلة والحل، إبراهيم سليمان عيسى، دار الكتاب الحديث ، القاهرة – مصر، ٢٠٠٢م، ص١٨.

(٢) قضايا البيئة من منظور إسلامي، أحمد عبد الرحيم السايح؛ أحمد عبده عوض، مرجع سابق، ص٢٠.

(٣) البيئة والإنسان علاقات ومشكلات زين الدين عبد المقصود، دار عطوة، القاهرة – مصر، ١٩٨١م، ص٧.

(٤) المحكمة المختصة والقانون الواجب تطبيقه بشأن دعاوي المسئولية والتعويض عن مضار التلوث البيئي العابر للحدود، د. جمال محمود الكردي، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة – مصر، ٢٠٠٣م، ص١٧.

مفهومًا واسعًا: يشمل الوسط الذي يعيش فيه الإنسان سواء كان وسطًا طبيعيًا، أم كان وسطًا من صنع الإنسان، وهذا الأخير هو الذي أخذت به معظم التشريعات العربية ومعظم الاتفاقيات الدولية بما فيهم المشرع المصري، الذي أخذ بالاتجاه الموسع – كما سبق القول – وهو ما يمكن ملاحظته من خلال نص الفقرة (١) من المادة الأولى من القانون رقم (٤) لسنة ١٩٩٤م، في شأن البيئة بقوله: "البيئة: المحيط الحيوي الذي يشمل الكائنات الحية، وما يحتويه من مواد وما يحيط بها من هواء وماء وتربة، وما يقيمه الانسان من منشآت"، ويعتبر هذا تميزًا للقانون المصري في كفالة وتحقيق حماية فعالة للبيئة.

والحقيقة أن أزمة البيئة مع الإنسان قد بدأت في الظهور في أواخر القرن العشرين عندما اختل التوازن الدقيق بين العنصرين الآتيين:

العنصر الأول: (البيئة الطبيعية) وهي: كل ما يحيط بالإنسان من عناصر طبيعية، والتي لا دخل للإنسان في وجودها مثل: الماء والهواء والتربة والبحار والمحيطات والنباتات والحيوانات، ومصادر الطاقة والأحياء بكافة أنواعها، وهذه جميعها تمثل الموارد الطبيعية التي سخرها الله تعالى للإنسان لتكفل له مقومات حياته(١).

العنصر الثاني: (البيئة المستحدثة) وهي: تتمثل في كل ما أنشأه الإنسان من صناعات ومدن وطرق ومطارات ومواصلات، وغيرها من كافة الأنشطة الإنسانية في البيئة(٢).

ولكن الذي ينبغي الإشارة إليه من أجل تغطية مظاهر أزمة البيئة في العصر الحديث، هو ضرورة الأخذ بمفهوم جديد للبيئة يجمع بين المفهومين السابقين، ذلك أن البيئة فضلًا عن كونها الإطار الذي يعيش فيه الإنسان، فإنها أيضًا مصدر عطاء لكل ما يلزم لحياته واستمرارها.

المطلب الثالث

الحماية الدستورية للبيئة

نتحدث في هذا المطلب عن الحماية الدستورية للبيئة بوجه عام (فرع أول)، والتي يتفرع منها حماية حق أصيل للإنسان، وهو حماية الحق في بيئة سليمة ونظيفة (فرع ثاني)، وذلك على النحو التالي:

---

(١) المسئولية المدنية عن الأضرار البيئية، د. محسن عبد الحميد البيه. مرجع سابق، ص٧.

(٢) البيئة إطارها ومعناها، محمد سعيد صباريني، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٩م، ص٢١، مشار إليه في: المسئولية المدنية عن الأضرار البيئية، د. محسن عبد الحميد البيه. مرجع سابق، ص٨.

الفرع الأول

حماية البيئة في القانون الدستوري

يقصد بمصطلح الحماية الدستورية بصفة عامة أن يدافع القانون الدستوري عن الحقوق أو المصالح المحمية ضد جميع الأفعال غير المشروعة، التي تؤدي إلى النيل منها بما يقرره لها من عقوبات، أو هى إضفاء الحماية التشريعية للمصالح التى يتوخاها الشارع ويعبر عن ذلك بالجزاء الدستوري أو العقوبة[١]، والحماية هي وقاية شخص أو مال ضد المخاطر، بواسطة وسائل قانونية أو مادية وضمان أمنه وسلامته، كما يعبر هذا المصطلح عن عمل الحماية ونظامها على حد سواء، أي عن التدبير أو الإجراء أو النظام أو الجهاز الذي يتكفل بالحماية المهنية[٢].

والمشرع الدستوري يقرر نصوص قانونية لحماية البيئة، وهي تشمل نوعين من الحماية، موضوعية وإجرائية، وسوف نستعرضهما على النحو الآتي:

الحماية الموضوعية للبيئة:

تتمثل الحماية الدستورية الموضوعية للبيئة، فى إقرار نصوص خاصة للعقاب على الأفعال التي تضر بالبيئة، أو تعرضها للخطر، أو تشديد العقاب على بعض الجرائم المنصوص عليها في القانون البيئي، أو القوانين المكملة له، فهذه النصوص تحمي الحق في البيئة المجني عليها، والحماية الدستورية لحقوق البيئة كمجني عليها، هي إحدى جوانب الحماية القانونية بمعناها الواسع، وهناك معاملة دستورية خاصة للبيئة، فضلاً عن حماية الحق المعرض للخطر[٣].

الحماية الدستورية الإجرائية للبيئة:

---

(١) الحماية الجنائية لأسرار الدولة، د. مجدى محب حافظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، ١٩٩٧م، ص١١١.

(٢) الحماية الجنائية لالتزام المحامي بالمحافظة على أسرار موكليه – دراسة مقارنة، د. محمود صالح العادلي، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة – مصر، ٢٠٠١ م، ص٦.

(٣) ضمانات تنفيذ إتفاقيات حماية البيئة، محمود جسم نجم الراشدي، ط١، دار الفكر القانوني، الإسكندرية – مصر، ٢٠١٤م، ص٦٧.

وهي ميزة إجرائية تقرر لصالح حماية الحق في البيئة، تأخذ شكل استثناء من تطبيق القواعد الإجرائية العامة، وذلك من خلال المعاملة الدستورية الخاصة للحق في البيئة، فالحماية الدستورية يجب أن تكفل للحق في البيئة[1].

الفرع الثاني

حماية الحق في بيئة صحية سليمة

تعريف الحماية الدستورية للحق في بيئة صحية سليمة:

يُقصد بالحماية الدستورية للحق في بيئة صحية سليمة، أن يدافع القانون الدستوري عن البيئة، وعن كل الأفعال غير المشروعة التي تؤدي إلى تلوثها عن طريق ما يقرره من عقوبات؛ حيث يعد الحق في بيئة صحية سليمة، من الحقوق الجديدة، بالمقارنة بغيره من الحقوق التي ترجع في نشأتها إلى القانون الروماني، فإن مثل هذا الحق لم يظهر بمعناه المعاصر، إلا في أوائل النصف الثاني من القرن العشرين، وعلى وجه الخصوص بعد ظهور الإعلان العالمي للبيئة في استكهولم بالسويد في عام ١٩٧٢م؛ حيث أورد الإعلان تعريفًا للبيئة، كما نبه وحذر من الاستخدام السيىء للبيئة ومواردها، وقد تبع ذلك نحو مائة وتسع من التوصيات في غاية الأهمية بشأن الحفاظ على البيئة وسلامتها، وكان ذلك بعد أن استفاق العالم مؤخرًا وأدرك أهمية البيئة، ومدى تأثيرها وما لسوء استخدامها من أضرار على كافة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والصحية، ولما كانت الحقوق الطبيعية لا تحتاج في إقرارها إلى إرادة المشرع؛ حيث تنشأ هذه الحقوق للإنسان بحكم طبيعته الإنسانية، فهي تعتبر حقوقًا أساسية، إذ لا ينعم الفرد بالحياة الكريمة بغير احترام لهذه الحقوق، كما أن هذه الحقوق يمكن التوصل إليها ومعرفتها بالعقل المستنير، فهي حقوق عالمية من الممكن أن يدركها ذو العقول والبصائر

تعريف حق الإنسان في بيئة صحية سليمة:

فيما يبدو للباحث، أن فروع القانون قد خلت من تعريف الحق بهذه الصياغة، أو بمعنى أدق خلت من تعريف حق الإنسان في بيئة صحية سليمة، وعلى ما تقدم من بيان معنى الحق بوجه عام، والربط بينه

---

(١) الحماية الجنائية للطفل في الشريعة الإسلامية والقانون المصري، د. أحمد على عبد الحليم محمد، دارالنهضة العربية، القاهرة – مصر، ٢٠١٣ م، ص٣.

وبين البيئة الصحية السليمة، فإن الباحث يحاول جاهدًا، بيان معنى الحق في بيئة صحية سليمة بأنه: "أن يتمتع الإنسان ببيئة صحية سليمة، بصورة يقررها القانون، ويسبغ عليها حمايته، ويشاركه فيها عناصر البيئة الحية".

وبالنظر إلى هذا التعريف (تعريف الباحث): يلاحظ أنه قد تضمن إلى الجانب القانوني، جانبًا فنيًا، وفيما يلي بيان معنى هذين الجانبين:

أولًا: الجانب القانوني.

بالنظر إلى الحق الوارد في تعريف الباحث، نرى أنه يتكون من عنصرين، أولهما: عنصر الحماية القانونية، والثاني: عنصر الاستئثار، وفيما يلي بيانهما:

العنصر الأول: الحماية القانونية.

تعد الحماية القانونية من العناصر الأساسية، التي لا يستغنى عنها بحال لوجود الحق، فالحق بلا حماية قانونية، هو والعدم سواء، لأن الحماية القانونية هي التي تحفظ للحق كيانه وتلزم الناس باحترامه.

والحماية القانونية: هي جزاء الاعتداء على الحق، ويتم توفير هذه الحماية عن طريق الدعوى القضائية، والتي يمكن تعريفها بأنها: حق الشخص في الالتجاء إلى القضاء لتحقيق مصلحة له يعترف بها القانون، والدعوى القضائية تتبع الحق وتلازمه وتنقضي بانقضائه، وتكون الدعوى شخصية إذا كانت تحمي حقًا شخصيًا، وتكون عينية إذا كانت تحمي حقًا عينيًا[1].

العنصر الثاني: الاستئثار.

حق الإنسان في بيئة صحية سليمة، هو من الحقوق الشخصية اللصيقة بالإنسان، والتي تؤثر على حياته كلها أو على عضو من أعضائه، كما أنه حق يثبت للإنسان بمجرد مولده ويلازمه حتى مماته، ووفقًا للقاعدة الفقهية، التي تنص على أنه: "إذا ورد الاستئثار على قيم لصيقة بشخص الإنسان، فإنه لا يخول صاحب هذا الحق سوى استعمال هذه القيم والمحافظة عليها – التمتع بها – دون النزول عنها أو

(١) المدخل لدراسة العلوم القانونية – النظرية العامة للحق، د. ثروت عبد الحميد، دار الإسلام للطباعة والنشر، المنصورة – مصر، ٢٠٠٧م، ص١٨.

التصرف فيها، أو إعدامها بأي شكل من الأشكال"[١]، وعلى ذلك فإن تمتع الإنسان ببيئة صحية سليمة يعد صورة من صور الاستئثار.

وفي حقيقة الأمر أنه ليس شرطًا أن يستأثر الإنسان وحده بقيمة معينة بشكل كامل، حتى يصبح صاحب حق في هذه القيمة، بل يلزم فقط أن يستأثر بقدر معين منها، ومن الأمثلة على ذلك: أنه لا يشترط أن يكون الشخص مالكًا لجميع الأراضي الزراعية، حتى يمكن القول بأنه يحوز ملكية أرض زراعية، بل يكفيه أن يكون مالكًا لقدر منها، وهو كذلك في حق الإنسان في التمتع ببيئة صحية سليمة، فلا يشترط أن يستأثر شخص ما بجميع البيئة حتى يمتلك الحق فيها دون غيره، وإنما يكفي أن يتمتع أي شخص بالحق في بيئة صحية سليمة، ويكون للآخرين نفس القدر من التمتع بهذا الحق، ولا يعد مشاركة كافة عناصر البيئة الحية مع الإنسان في التمتع ببيئة صحية سليمة، حرمانه من الاستئثار بهذا الحق في إحدى صور التمتع.

وذهب الغالبية العظمى من الفقهاء إلى القول: بأن اشتراك أكثر من شخص في ملكية شيء ما، دون أن يكون نصيب كل شخص منهم حصة مفرزة، فإن ذلك لا ينفي تمتع كل منهم بميزة معينة على وجه الانفراد، فإن المزايا التي تعود على كل واحد منهم في هذه المشاركة، ليست هي نفسها المزايا التي تعود على المشاركين الآخرين[٢].

والحال كذلك فيما يتعلق بالحق في بيئة صحية سليمة، فإنها حق عام للجميع، وليس لأي شخص حصة مفرزة منها، وعلى ذلك يمكن القول بأنها حقوق في حكم الملكية على الشيوع؛ بحيث يتمتع كل فرد منها بمزايا بصورة منفردة عن تمتع الآخرين، فهي حق لجميع الأفراد في أي مكان على وجه الأرض، في ذات الوقت وعلى قدم المساواة، وعلى ذلك فإن الحق في بيئة صحية سليمة من الحقوق العامة؛ حيث أنها تثبت للإنسان باعتباره إنسانًا، بغض النظر عن أية اعتبارات أخرى في هذا السياق، كما يعد الحق في بيئة صحية سليمة من الحقوق الطبيعية؛ على أساس من القول بأن هذا الحق مستمد من الطبيعة التي خلقها الله تعالى من أجل الإنسان وتكريمه.

خلاصة القول: أن تعريف الباحث قد تضمن عنصري الحماية القانونية والاستئثار، وهما مناط وجود الحق، وعلى ذلك فإن الجانب القانوني في هذا التعريف قد اكتمل.

---

(١) المدخل للعلوم القانونية، الجزء الثاني– نظرية الحق، د. رجب كريم عبد اللاه، ١٩٩٥م، ص٣٥.

(٢) حق الإنسان في بيئة نظيفة – دراسة مقارنة، بدر عبد المحسن عزوز، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق – جامعة عين شمس، القاهرة – مصر، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص١٦٦.

ثانيًا: الجانب الفني.

تضمن تعريف الباحث الآنف الذكر، جانبًا فنيًا، يتمثل في أمرين، أولهما: البيئة الصحية السليمة، والثاني: عناصر البيئة الحية، وفيما يلي بيان ذلك:

أولًا: البيئة الصحية السليمة.

البيئة السليمة: يقصد بها، أنها البيئة التي خلقها الله تعالى كما هي، بيئة متوازنة وبقاء عناصرها أو مكوناتها الطبيعية على حالها، حتى تكون بيئة صالحة لمعيشة كل الكائنات الحية بمختلف أنواعها وأشكالها، من إنسان وحيوان ونبات وحشرات، سواء تلك التي ترى بالعين المجردة، أو لا ترى إلا بواسطة الميكروسكوبات المختلفة، فلقد خلق الله تعالى الكون، ووضع القوانين والنواميس التي تكفل حفظه وتوازنه، وأحكم الله تعالى البيئة التي خلقها، وصنعها فأتقن صنعها[1]، فقال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨﴾[2]، والنظام البيئي متوازن بطبيعته، وتوازن النظام البيئي هو قدرة هذا النظام على العودة إلى وضعه الأول بعد كل تغيير يطرأ عليه دون خلل أساسي في تكوينه، ويرجع توازن النظام البيئي إلى تعدد مكوناته وتعقده، فكلما ازداد تعقد النظام البيئي كلما كان أقدر على التوازن، وتوازن البيئة (البيئة السليمة)، ينتج عن تفاعل وتداخل وتكامل عناصر البيئة الحية مع عناصر البيئة غير الحية، طبقًا لدورات العناصر والمركبات والسلاسل الغذائية، بشكل دقيق ومحسوب ومقدر من الله تعالى، وعلى نحو يكفل استمرار أدائها لأعمالها بشكل مستقر، وفي حالة حدوث خلل في عنصر من عناصر البيئة، كنتيجة للتدخل الغاشم والجائر للنشاط الإنساني، مما يؤدي إلى اضطراب هذا التوازن، فيفقد قدرته في الحفاظ على الحياة مؤديًا إلى المشكلات البيئية شديدة التعقيد، والتي أصبحت تهدد حياة الكائنات الحية وحياة الإنسان خاصة، وهو ما يعني أن التوازن بين طائفة الأحياء التي تستوطن مكانًا معينًا، فإنها تتفاعل فيما بينها من ناحية، كما تتفاعل مع الوسط المحيط بها من ناحية أخرى، وذلك على شكل دورات تبدأ حيث تنتهي، تشكل فيها كل من المادة والذرة والطاقة متواصلة فيما بينها ضمن نظام البيئة، بينما ينتشر جزء من هذه الدورة مع أي تحول ليصير متاحًا لأداء مهمة معينة في إطار الدورة، وكل ما يحدث في هذه التحولات يتسم بالتوازن

---

(١) حق الإنسان في بيئة نظيفة – دراسة مقارنة، بدر عبد المحسن عزوز، مرجع سابق، ص٦٥.

(٢) سورة النمل: الآية (٨٨).

وبالتنسيق وبالتكامل، وهو ما يمثل وحدة النظام والقانون، فالكون كل الكون وحدة واحدة في النظام والنواميس والسنن[١].

وعلى ذلك فإنه يمكن القول بأن العلاقات البيئية متكاملة ومترابطة، فإن كل نتيجة هي أيضًا سبب، أو بمعنى آخر أن فضلات الحيوانات تصير غذاءً لبكتريا التربة، وما تفرزه البكتريا هو الغذاء الأساسي للنباتات، وهكذا فإن السلسلة الغذائية لا تعرف كلمة فاقد أو ما تبقى، فهي منظومة مترابطة وسيمفونية راقية، تعزفها الكائنات كلها بإذن ربها، بدون إنتاج متبقيات تصدر صوت نشاز، كما يعد توازن البيئة توازنًا حركيًا متغيرًا في إتجاه سعة الحمل، وليس توازنًا ساكنًا، وذلك ليعمل على استيعاب الفضلات طبقًا للظروف الطبيعية، ولهذا التوازن البيئي أسباب عديدة وضعها الله تبارك وتعالى لبقاء الحياة على الأرض إلى ما شاء، كما له من المظاهر ما يدل عليه، مما يعني بقاء البيئة صحية وسليمة.

ثانيًا: عناصر البيئة الحية.

يراد بعناصر البيئة الحية، تلك الكائنات التي تتصف بمظاهر الحياة، كالتنفس والتغذية والنمو والحركة والتكاثر وغير ذلك، والكائنات التي تتوافر لها هذه الصفات أو بعضها هي الإنسان والحيوان والنبات والمجهريات، وقد جرت عدة محاولات لتمييز تلك المكونات الحية للبيئة طبقًا لأسس مختلفة، والتمييز الأكثر قبولًا لدى المتخصصين، هو الذي يصنفها إلى ثلاثة عناصر أساسية، وهي المنتجة والمستهلكة والمجهرية[٢]، وفيما يلي بيان ذلك بإيجاز:

(١) عناصر البيئة الحية المنتجة:

عناصر البيئة الحية المنتجة (producers): أهمها النباتات الخضراء بكل أنواعها، بدءً من الطحالب الخضراء إلى الأشجار الضخمة المتنوعة، وهي ذاتية التغذية، أي أنها تنتج غذائها في عملية التمثيل الضوئي لنفسها ولغيرها، فهي تمتص غاز ثاني أكسيد الكربون من الهواء وتمتص الماء من التربة عن طريق جذورها، وتصنع منها معًا في وجود مادة الكلوروفيل، وتحت تأثير أشعة الشمس جميع انواع المركبات العضوية التي تحتاجها، والتي تبني منها أجسامها، وتعطي هذه الخاصية للنباتات نوعًا من

---

(١) البيئة والسلوك الإنساني من المنظورين النفسي والإسلامي، د. عبد الفتاح محمد دويدار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية – مصر، ٢٠١٠م، ص١٠٥ وما بعدها

(٢) حق الإنسان في بيئة نظيفة – دراسة مقارنة، بدر عبد المحسن عزوز، مرجع سابق، ص٥٥.

الاستقلال عن كل ما حولها من كائنات، ولكنها مع ذلك لا تستطيع أن تستغني عن اعتمادها على العناصر الطبيعية غير الحية[١].

(٢) عناصر البيئة الحية المستهلكة:

عناصر البيئة الحية المستهلكة (Consumers): هي عناصر غير ذاتية التغذية، أي أنها تعتمد على كائنات حية أخرى سواء كانت نباتًا أو حيوانًا، وأهمها الحيوانات العشبية، التي تستهلك المركبات العضوية الموجودة في النباتات بصورة مباشرة، والحيوانات آكلة اللحوم المفترسة، فضلًا عن الإنسان الذي يعد عنصرًا مهمًا داخل هذه المجموعة، لما يتمتع به من قدرات تأثيرية هائلة في عناصر النظام الأخرى، تتباين بين الهدم والبناء[٢].

(٣) عناصر البيئة الحية الدقيقة:

عناصر البيئة الحية المجهرية (Decomposers): وهي كائنات حية دقيقة، أكثرها انتشارًا البكتريا والفطريات، وبعض أنواع الحشرات، ويطلق بعض العلماء تسمية الأعداء الطبيعية على تلك العناصر، وقد أطلق عليها البعض الآخر من المتخصصين الكائنات المحللة، وهي تعتمد في التغذية على بقايا النباتات والحيوانات أثناء قيامها بتحليلها وتحويلها إلى مركبات بسيطة يستفيد منها النبات في غذائه، بل ويستفيد منها جميع عناصر الإنتاج في الغذاء، وبذلك تتكرر الدورة مرات لا نهائية[٣].

المطلب الرابع

البيئة في القانون الدولي

بدأ العالم حديثًا يفيق من غفوته، متوجعًا من آثار كثيرة من أعماله المدمرة للبيئة التي يعيش فيها، وهي الكرة الأرضية بكافة الدول المتشابكة التي تحويها، وارتفعت أصوات المصلحين والنفعيين على السواء، تطالب بوضع حد لتخريب الإنسان للبيئة في كل مكان، بالنظر إلى الطبيعة الديناميكية أو المتحركة

---

(١) بدر عبد المحسن عزوز، حق الإنسان في بيئة نظيفة – دراسة مقارنة، مرجع سابق، ص٥٥؛ البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني، د. عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة – مصر، ١٩٩٤م، ص٢٢ وما بعدها.

(٢) حق الإنسان في بيئة نظيفة – دراسة مقارنة، مرجع سابق، بدر عبد المحسن عزوز، ص٥٦؛ البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني، د. عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، مرجع سابق، ص٢٢ وما بعدها.

(٣) حق الإنسان في بيئة نظيفة – دراسة مقارنة، بدر عبد المحسن عزوز، مرجع سابق، ص٥٦؛ البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني، د. عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، مرجع سابق، ص٢٢ وما بعدها.

للتلوث، وعلى المستوى الدولي اهتمت المؤتمرات ببحث مشكلة التلوث، ففي عام ١٩٧٢م عقد في مدينة استوكهولم بالسويد مؤتمر الأمم المتحدة الدولي للبيئة البشرية[١]، وتتباعت المؤتمرات الدولية العالمية والإقليمية الهادفة إلى حماية البيئة من أخطار التلوث، بل وإلى تربية الناس تربية من شأنها الحفاظ على البيئة التي يعيشون فيها، كالمؤتمر الدولي للتربية البيئية[٢]، الذي عقد عام ١٩٧٧م بمدينة تبليسي بالاتحاد السوفيتي المنهار، وقد أصبحت الاتفاقات الدولية النتعلقة بحماية البيئة تمثل جانبًا هامًا من جوانب القانون الدولي، وبات عددها يكاد يستعصي على الحصر، خاصة بالنسبة لتلك التي تعقد على المستوى الإقليمي بين عدد الدول [٣]، وذلك وفقًا لتعريف البيئة بأنها: مجموعة من النظم الطبيعية

---

(١) مؤتمر استكهولم: هو مؤتمر قمة الأمم المتحدة للإنسان والبيئة، المنظم سنة ١٩٧٢م بعاصمة السويد، وقد انعقد تحت شعار نحن لا نملك إلا كرة أرضية واحدة، حضره ١٢٠٠ مؤتمرًا يمثلون ١٤٤ دولة، عرفوا البيئة في أول تعريف رسمي لها بأنها: جملة الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما، وفي مكان ما لإشباع حاجات الإنسان و تطلعاته، وأكد على أن الإنسان يتمتع بحق أساسي في الحرية والمساواة وفي ظروف عيش مرضية، في بيئة تسمح له بالعيش في كرامة ورفاهية، وعلى الإنسان واجب متميز يقضي بحماية المحيط للأجيال الحالية والقادمة، وحدد أهم الاختلالات البيئية في التزايد السكاني المضطرد، وما ينتج عنه من استغلال بشع للثروات الإنسانية الشيء الذي يؤدي إلى إتلاف الثروات وتزايد نسبة التلوث والحاجيات الغذائية، وكذا مشاكل النفايات والتصحر واضطراب المناخ وارتفاع حرارة الأرض، بالإضافة إلى المشاكل المرتبطة بالتسلح وانتشار الأسلحة الكيماوية والجرثومية والتنمية المستديمة، وقد أسفر مؤتمر البيئة العالمي على الاتفاق على أول برنامج موحد متخصص في قضايا البيئة، سمي ببرنامج الأمم المتحدة للبيئة PNUE حددت أهداف مؤتمر البيئة العالمي. [http://www.bee2ah.com]، تم زيارة الموقع يوم الاثنين الموافق ٢٠١٧/٥/٢٩م في تمام الساعة الخامسة عصرًا.

(٢) انعكس صدى ميثاق بلغراد في إعلان المؤتمر الدولي الحكومي للتربية البيئية ، الذي نظمته اليونسكو بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة في مدينة تبليسي بجورجيا السوفيتية، في الفترة من ١٤ – ٢٦ أكتوبر ١٩٧٧. إذ أكد إعلانه على ان التربية البيئية ترمي بشكل أساسي إلى تعريف الأفراد والجماعات بطبيعة البيئة بشقيها الطبيعي والمشيد أو المبني، الناتجة عن تفاعل مكوناتها البيولوجية والطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وكذلك احتساب المعارف والقيم والمواقف والمهارات التي تساعدهم على المساهمة المسؤولة والفعالة في بلورة حل المشكلات الاجتماعية وتدبير أمور نوعية الحياة في البيئة . كان مؤتمر تبليسي تجمعًا ضخمًا، التقى فيه أناس من كل حدب وصوب، جاءوا إليه يحملون أفكارًا، واسترتيجيات، تدعو كلها إلى تنمية خُلق بيئي، وضمير بيئي، ينقذ الجنس البشري من ويلات الممارسات الخاطئة في البيئة البشرية،فكان الذين التقوا في تبليسي يمثلون مختلف قطاعات المجتمع الدولي: وزراء تربية، مخططون، واضعو مناهج دراسية، معلمون، أساتذة جامعات، مهندسون كيمياويون، فيزيائيون، بايولوجيون، اقتصاديون، مهنيون، محامون، قضاة، أطباء، نقابيون، إعلاميون، وغيرهم، وقد قام هؤلاء بتشخيص واقع البيئة الراهن. [http://www.bee2ah.com]. تم زيارة الموقع يوم الاثنين الموافق ٢٠١٧/٥/٢٩م في تمام الساعة الخامسة عصرًا.

(٣) قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة، د، ماجد راغب الحلو، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية – مصر، ٢٠٠٤م، ص١٨ وما بعدها.

والاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الأخرى، والتي يستمدون منها زادهم، ويؤدون فيها نشاطهم.

ومن الملاحظ أن هذا التعريف يشتمل كما هو واضح: على المواد والمنتجات الطبيعية والاصطناعية التي تؤمن إشباع حاجات الإنسان.

وعرف البعض اصطلاح البيئة الدولي بقوله: كل ما يحيط بالإنسان من أشياء تؤثر على صحته، فكلمة البيئة تشمل المدينة بأكملها مساكنها، وشوارعها، وأنهارها، وآبارها، وشواطئها، وتشمل كذلك ما يتناوله الإنسان من طعام، وشراب، وما يلبسه من ملابس، فضلًا عن العوامل الجوية، والكيميائية، وغير ذلك، والبيئة الصحية: هي البيئة النظيفة الخالية من الجراثيم الناقلة للأمراض، ومن كل الملوثات المختلفة مهما كان مصدرها(١).

ويبدو من هذه التعاريف، أن الأغلبية العظمى من الاتفاقيات والمؤتمرات الدولية، التي انعقدت بشأن البيئة وعنت بها، قد تبنت المفهوم الواسع للبيئة، وهو ما أدى إلى التردد الذي وقع فيه الفقه الدولي بشأن تحديد تعريف دقيق للبيئة، مما فتح المجال إلى ظهور عدة مصطلحات جديدة متعلقة بالبيئة.

من التعاريف السابقة، يظهر أن مفهوم البيئة في القانون الدولي، هو الإطار الذي يمارس فيه الإنسان حياته، وفيها العناصر المادية التي يحصل منها على متطلبات حياته، فهي المحيط الذي يشمل كافة الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات، وكل ما يحيط به من هواء وماء وتربة، وما يحتويه من مواد صلبة وسائلة وغير ذلك.

المبحث الثالث

مقارنة بين مفهوم البيئة في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي

بالنظر والتأمل في ماهية البيئة في كل من الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، يظهر لنا وجه المقارنة بين المفهومين، والتي تعكس أبعادًا مختلفة، تظهر بجلاء سبق الشريعة الإسلامية في الحفاظ على البيئة وحمايتها، ونستخلص من المقارنة بين المفهومين ما يلي:

(١) تلوث البيئية أهم قضايا العصر المشكلة والحل، إبراهيم سليمان عيسى، مرجع سابق، ص١٨ وما بعدها.

أولًا: أهملت التشريعات القانونية جوانب الحفاظ على البيئة وحمايتها، بينما حافظ الإسلام على كافة الجوانب البيئية، فقد اعتبر الإسلام أن الكون كله وحدة واحدة بأشيائه وأحيائه، كما تجلت الوحدة المادية والروحية بين الإنسان والكون، أو الإنسان والبيئة في التصور الإسلامي في العديد من المظاهر[١].

ثانيًا: تعاملت القوانين الوضعية مع البيئة، على اعتبارها رصيد للموارد ووسيلة لإشباع حاجات الأفراد المادية فقط، دون التعرض أو التطرق لأساليب التعامل الرشيد معها، وهو المسلك الذي انتهجته معظم التشريعات العالمية، بحيث كان تعاملهم مع البيئة من منطلق أنها مصدر للموارد والحاجات الضرورية للإنسان، كالتشريع المصري[٢] ، أما الإسلام فإنه ينظر إلى البيئة بأنها ذخر معرفي للإنسان، فالبيئة بكل أنظمتها وقوانينها وسننها، بل إن الوجود البيئي بكل جوانبه، هو ذخر معرفي ضخم للإنسانية، وخزان هائل للحقائق والمعارف والمعلومات[٣]

ثالثًا: تنظر القوانين الوضعية إلى البيئة، باعتبارها مجموع العوامل الفيزيائية والعضوية وغير العضوية، التي تساعد على دوام الحياة في إطار العلاقات السببية الجزئية بين هذه العوامل، وبمعزل عن السنن الكونية التي تحكم هذا التفاعل، وبمعزل عن أثر الخروج على هذه السنن، ودون النظر لناموس الحياة على الأرض، ولحكمة وجود الإنسان ولطبيعة الارتباط بين عالم الأرض وعالم السماء، وانعكاسات هذا الارتباط على منهج التعامل مع البيئة وشرعيته، كما هو حال المفهوم الإسلامي.

رابعًا: أن القوانين الوضعية تعاملت مع البيئة في إطار مجرد من البعد الزمني، أما الشريعة الإسلامية فقد حفلت بحماية البيئة الأرضية والهوائية والمائية، ضد التلوث؛ حيث طالب الله تعالى الإنسان أن يتعامل مع البيئة من منطلق أنها ملكية عامة يجب المحافظة عليها؛ حتى يستمر الوجود، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾[٤] ، ولم تقتصر نظرة الإسلام للبيئة على البعد المكاني لها، بل شملت أيضًا البعد الزماني: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾[٥]، وقد طالب الإسلام المسلم أن يستثمر عمره باعتباره بعدًا

---

(١) البيئة والسلوك الإنساني من المنظورين النفسي والإسلامي، د. عبد الفتاح محمد دويدار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية – مصر، ٢٠١٠م، ص١٠٤.

(٢) قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة، د. ماجد راغب الحلو، مرجع سابق، ص٣٩.

(٣) البيئة والسلوك الإنساني من المنظورين النفسي والإسلامي، د. عبد الفتاح محمد دويدار، مرجع سابق، ص٩٨.

(٤) سورة الأعراف: الآية رقم (٨٥).

(٥) سورة العنكبوت: الآية رقم (٢٠).

زمنيًا هامًا في تعامله مع الأنظمة البيئية، من منطلق أنها نعمة كبرى للإنسان، ودعاه إلى النظر في مكونات البيئة والتعامل في مخلوقات الله، وجعل ذلك دليلًا على الإيمان[١] ، فهي واقع قائم دون جذور تاريخية تعكس سننًا تستخلص للعبرة والعظة، ودون تصور مستقبلي، الذي يجسم آثار التصرف الرشيد أو غير الرشيد للتفاعلات الراهنة.

خامسًا: أهملت التشريعات الوضعية البعد الجمالي للبيئة ،على خلاف ما هو معروف في الفكر الإسلامي؛ حيث ينظر الإسلام إلى البيئة باعتبارها زينة وجمال ومتعة، ولأن الإسلام دين الفطرة، فقد حرص على تلبية مطالب الفطر الإنسانية جميعها، ومن هذه المطالب المتاع الروحي والجمالي، والذي قد يفوق المتاع الحسي في كثير من الأحيان، لذلك فقد حرص الإسلام على التمتع المشروع للبشر، فقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [٢]، فقد صيغت هذه الآية بأسلوب محكم بديع حوى مجموعة من اللطائف، أولها وأهمها: أن التمتع بالزينة والطيبات الأصل فيه الحل والإباحة، ولهذا جاءت الآية بصيغة السؤال الاستنكاري، لتستبعد فكرة التحريم، وتقرر أن الله ما أخرج وخلق هذه الزينة إلا ليستمتع به العباد، كما أمرهم الله تعالى، وثاني هذه اللطائف: أن إضافة الزينة إلى الله تعالى، فيه تشريف وتوقير لهذه الزينة وتنويهًا لها[٣].

سادسًا: يتجلى لنا عمق الإعجاز العلمي لشريعة الإسلام؛ حيث سبقت علوم العصر في بيان معنى البيئة، وأشارت في وضوح وجلاء إلى أنها تعني الوسط أو المحيط المزود بعناصر تجعله مهيأ للحياة والبقاء، والعناصر والمكونات التي تجعل المكان أو الوسط صالحًا للحياة، هي تلك التي خلقها الله تعالى بعظيم قدرته، وهي الموارد والعناصر الطبيعية كالشمس والقمر، والهواء والماء والتربة، أو تلك التي أجراها الله تعالى على يد البشر بحكم خلافتهم في الأرض وعمارتهم لها، من مبان ومنشآت ونظم اجتماعية واقتصادية وغيرها، وتلك مفاهيم ومعان، لا نظن أن علوم البشر قد أتت بما يزيد عنها[٤].

---

(١) شرح تشريعات البيئة، د. عبد الفتاح مراد، مرجع سابق، ص٣٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية رقم (٣٢).

(٣) البيئة والسلوك الإنساني من المنظورين النفسي والإسلامي، د. عبد الفتاح محمد دويدار، مرجع سابق، ص١٠٠.

(٤) قانون حماية البيئة الإسلامي مقارنًا بالقوانين الوضعية، د. أحمد عبد الحكم سلامة، مرجع سابق، ص٢٥.

الخاتمة

ونخلص من هذه الدراسة إلى التأكيد على بعض النتائج، والتوصية ببعض الوصايا، وهي على النحو التالي:

نتائج الدراسة:

(١) أن الشريعة الإسلامية حرمت الفساد في الأرض، والاعتداء على البيئة، وذلك بمقتضى الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وكل ما يؤدي إلى الفساد، كتلوث البيئة، فهو حرام بالكتاب والسنة والإجماع.

(٢) أن الاعتداء على البيئة حرام بالكتاب والسنة والإجماع، سواء كان هذا الاعتداء بتلويثها أو إفساد بنيتها، وكافة صور الاعتداء المذكورة في الرسالة، هي في الأصل غير جائزة، فتبقى على أصل الحرمة.

(٣) أن لكلمة البيئة عدة معان منها المنزل والمكان الذي يختاره الإنسان سكنًا له، ومن معانيها الحالة التي يوصف بها الشخص سلوكيًا أو أخلاقيًا أو هيئة، وقد تعني السلوك الاجتماعي أو السياسي أو الديني.

(٤) أن الإسلام ينظر إلى البيئة من منظور أنها خلقت بمقادير محددة وصفات معينة؛ بحيث تكفل لها هذه المقادير وتلك الصفات، القدرة على توفير سبل الحياة الملائمة للإنسان، وغيره من سائر الكائنات الحية الأخرى، شريطة حسن استغلالها والاستمتاع به.

(٥) أن ثمة علاقة بين الحفاظ على البيئة، وبين تكريم الإنسان، إذ أن الله تعالى قد منحه بيئة إيمانية، فلم يجعل الله عز وجلّ الإيمان به بالوراثة، يتوارثه الخلف عن سلفهم، كما لم يكن أمرًا إجباريًا، أو فرمانًا مفروضًا, وإنما يكون بإرادة فردية خالصة حرة، لا يشوبها إكراه أو غصب؛ حيث أن الإيمان من حيث الأصل، هو هداية ربانية نورانية، وفضل من الله ومنة، على من يحب من عباده ويكرم.

(٦) أن الربط بين تكريم الله تعالى للإنسان بالعقل وبين حماية البيئة، أمر واضح البيان لايخفى على ناقد بصير، وهو ما يتبين لنا مما سبق، لماذا كرم الله الإنسان بالعقل، إلى الحد الذي شاد القرآن الكريم والسنة المطهرة بالعقل؛ حيث لا يحافظ على البيئة بمفهومها الواسع إلا الإنسان العاقل.

التوصيات:

(١) يوصي الباحث بضرورة إعادة النظر في بعض القوانين والتشريعات، حتى تتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية؛ حيث كانت الشريعة سابقة لهذه التشريعات في بيان أحكام التعويض عن الأضرار.

(٢) يوصي الباحث بضرورة تفعيل دور الأجهزة الرقابية التي تعمل جاهدة على التصدي لمن يحاول الاعتداء على البيئة بتلوثها أو إلحاق الضرر بها، والضرب بيد من حديد على من سولت له نفسه ذلك.

(٣) يوصي الباحث بالنظر مجددًا في التشريعات البيئية على وجه الخصوص وإصلاح ما بها من خلل لجعلها تتواكب مع التتطورات البيئية المتلاحقة.

(٤) نوصي بترسيخ معالم المنهج الإسلامي في الحفاظ على البيئة والتعويض عن الأضرار التي تنجم عن الاعتداء عليها، وذلك بأن تتضمن المقررات الدراسية في كافة مراحلها منهجًا تربويًا عن البيئة في الإسلام، وذلك لإبراز المشاكل البيئية ودور المسلم في الحفاظ على البيئة.

(٥) يوصي الباحث بإعادة تطبيق التشريعات الإسلامية ذات الصلة بحماية البيئة من منظور إسلامي، وذلك بقصد وضعها في إطار إسلامي مع التزام الجدية في تنفيذها

وآخر دعوانا: ﴿أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾

قائمة المراجع والمصادر

- الإنسان والبيئة، السيد عبد العاطي السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية – مصر، ١٩٩٩م.
- الإنسان والقيم في التصور الإنساني، د.محمود حمدي زقزوق، مطابع الأهرام التجارية، مصر – القاهرة، هدية مجلة الأزهر المجانية لشهر رمضان المبارك ١٤٣٦هـ.
- الإيمان أركانه – حقيقته – نواقضه، د. محمد نعيم ياسين، دار الفرقان، عمان – الأردن، ١٤٢٣هـ.
- الإيمان بالله في عصر العلم، د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، حققه وقدم له: د. فيصل بدير عون، مطابع دار الجمهورية للصحافة، القاهرة – مصر، هدية مجلة الأزهر لشهر رمضان ١٤٣٧هـ.
- الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.
- البيئة إطارها ومعناها، محمد سعيد صباريني، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٩م.
- البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني، د، عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، الدر المصرية اللبنانية، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- البيئة والإنسان علاقات ومشكلات زين الدين عبد المقصود، دار عطوة، القاهرة – مصر، ١٩٨١م.
- البيئة والسلوك الإنساني من المنظورين النفسي والإسلامي، د. عبد الفتاح محمد دويدار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية – مصر، ٢٠١٠م.
- البيئة والسلوك الإنساني من المنظورين النفسي والإسلامي، د. عبد الفتاح محمد دويدار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية – مصر، ٢٠١٠م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدر التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م
- تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، دار مطبعة مصر، القاهرة – مصر، ١٤٠٩هـ /١٩٨٨م.
- تلوث البيئية أهم قضايا العصر المشكلة والحل، إبراهيم سليمان عيسى، دار الكتاب الحديث ، القاهرة – مصر، ٢٠٠٢م.
- التلوث وحماية البيئة – قضايا البيئة من منظور إسلامي محمد منير حجاب، ط١، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ١٩٩٩م.
- جرائم البيئة بين النظرية والتطبيق، أشرف هلال، بدون دار نشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

- حق الإنسان في بيئة نظيفة – دراسة مقارنة، بدر عبد المحسن عزوز، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق – جامعة عين شمس، القاهرة – مصر، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- حماية البيئة الخليجية وأثره على البيئة العربية والعالمية، خالد محمد القاسمي؛ وجيه جميل البعيني، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية – مصر، ١٩٩٩م.
- الحماية الجنائية لأسرار الدولة، د. مجدى محب حافظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، ١٩٩٧م.
- الحماية الجنائية لالتزام المحامي بالمحافظة على أسرار موكليه - دراسة مقارنة، د. محمود صالح العادلي، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة - مصر، ٢٠٠١ م.
- الحماية الجنائية للبيئة الحضارية، دراسة مقارنة في القانون الداخلى والقانون الدولى الجنائى، د. محمود صالح العادلى، دار النهضة العربية، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
- الحماية الجنائية للطفل في الشريعة الإسلامية والقانون المصري، د. أحمد على عبد الحليم محمد، دارالنهضة العربية، القاهرة - مصر، ٢٠١٣ م.
- الحماية الدستورية للحقوق البيئية – دراسة مقارنة، د. وليد محمد الشناوي، دار الفكر والقانون، المنصورة – مصر، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- الحماية الشرعية للبيئة المائية دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعى، أشرف عبد الرازق ويح، بدون دار نشر وبدون سنة نشر.
- سلسلة أسس تربية الفتاة في الإسلام (١) أسس التربية الإيمانية للفتاة المسلمة، د. عدنان حسن باحارث، دار المجتمع للنشر والتوزيع، مكة المكرمة – السعودية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- شرح تشريعات البيئة، د. عبد الفتاح مراد، دار الكتب والوثائق المصرية، الإسكندرية – مصر.
- ضمانات تنفيذ إتفاقيات حماية البيئة، محمود جسم نجم الراشدي، ط١، دار الفكر القانوني، الإسكندرية - مصر، ٢٠١٤م.
- العقيدة في ضوء الكتاب والسنة، (١) العقيدة في الله، أ.د عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس، عمان –الأردن، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- العقيدة وشخصية رجل العقيدة، من مختارات دار الدعوة، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، إسكندرية – مصر، ١٤٣٥هـ.
- قانون حماية البيئة الإسلامي مقارنًا بالقوانين الوضعية، د. أحمد عبد الكريم سلامة، ط١، القاهرة – مصر، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة، د. ماجد راغب الحلو، منشأة المعارف، الإسكندرية – مصر، ٢٠٠٢م.

- قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة، د، ماجد راغب الحلو، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية – مصر، ٢٠٠٤م.
- قضايا البيئة من منظور إسلامي، أحمد عبد الرحيم السايح، أحمد عبده عوض، مركز الكتاب، القاهرة – مصر، ٢٠٠٤م.
- قواعد قرآنية ٥٠ قاعدة قرآنية في النفس والحياة، د. عمر بن عبد الله المقبل، ط٣، مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، الرياض – المملكة العربية السعودية، ١٤٣٣هـ=٢٠١٢م.
- قيمة الإنسان وغاية وجوده في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت، ١٤١٦هـ=١٩٩٥م، الطبعة الثانية.
- المحكمة المختصة والقانون الواجب تطبيقه بشأن دعاوي المسئولية والتعويض عن مضار التلوث البيئي العابر للحدود، د. جمال محمود الكردي، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة – مصر، ٢٠٠٣م.
- المدخل لدراسة العلوم القانونية – النظرية العامة للحق، د. ثروت عبد الحميد، دار الإسلام للطباعة والنشر، المنصورة – مصر، ٢٠٠٧م.
- المدخل للعلوم القانونية، الجزء الثاني- نظرية الحق، د. رجب كريم عبد اللاه، ١٩٩٥.
- مدونة جوستنيان فى الفقه الروماني، أ. عبد العزيز فهمى،عالم الكتب، بيروت – لبنان، ١٩٤٦م.
- المسئولية الجنائية عن التلوث البيئي، د. محمد حسن الكندرى، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق – جامعة عين شمس، القاهرة – مصر، ٢٠٠٥م.
- مع القرآن الكريم، رؤية مستنيرة لحقائق الإيمان والحياة، إعداد: عبد الفتاح عساكر، المركز الثقافي للمقاولين العرب – العدد الأول، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة – مصر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- المفهوم القانونى للبيئة في ضوء مبدا أسلمة القانون المعاصر، د. أحمد محمد أحمد حشيش، دار النهضة العربية، القاهرة – مصر، ٢٠٠١م.
- منهج القرأن في التربية، أ . محمد شديد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٩٧٧م.
- الموجز في الإسلام وحماية البيئة، دراسة تحليلية للحماية الجنائية للبيئة فى التشريع والفقه الإسلاميين، د. محمود صالح العادلي، دار النهضة العربية، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٥.

الفهرس

الموضوع الصفحة

المقدمـة.....٢

المبحث الأول: ماهية البيئة في الفقه الإسلامي.....٥

المطلب الأول: البيئة في اللغة.....٥

المطلب الثاني: مفهوم البيئة في الفقه الإسلامي.....٨

المطلب الثالث: اهتمام الإسلام بالبيئة.....١١

المبحث الثاني: ماهية البيئة في القانون الوضعي.....٢٦

المطلب الأول: حماية البيئة في التشريعات القديمة.....٢٦

الفرع الأول: حماية البيئة فى مصر الفرعونية.....٢٦

الفرع الثاني: حماية البيئة فى مصر الرومانية.....٢٧

المطلب الثاني : مفهوم البيئة في التشريع الوطني.....٢٨

المطلب الثالث: الحماية الدستورية للبيئة.....٣٠

الفرع الأول: حماية البيئة في القانون الدستوري.....٣١

الفرع الثاني: حماية الحق في بيئة صحية سليمة.....٣٢

المطلب الرابع: البيئة في القانون الدولي.....٣٧

المبحث الثالث: مقارنة بين مفهوم البيئة في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي.....٣٩

الخاتمة:.....٤٢
قائمة المراجع والمصادر:.....٤٤
الفهرس:.....٤٧
..